القاعدة المراكشية

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

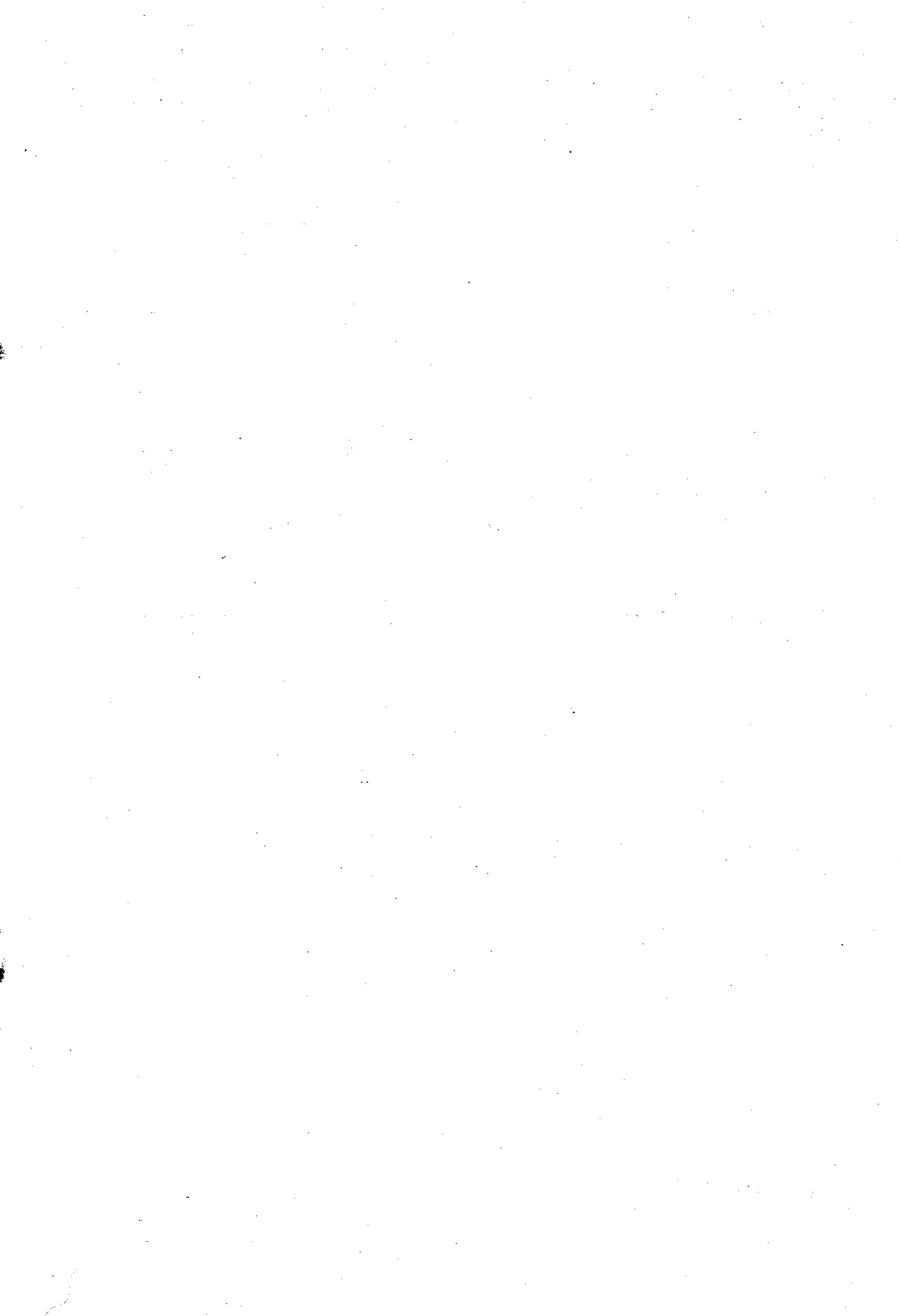
المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية

تحقيق

الدكتور
ناصر بن سعد الرشيد

الأستاذ
رضا بن نعسان معطي

مطابع الصفا
مكة المكرمة



الطبعة الأولى

سنة ١٤٠١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلت مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية حيزا كبيرا فى الفكر الاسلامي الصحيح واهتم بها الناس يدرسونها ويتعلمون منها ، وازدادت حاجتهم اليها فى القرون المتأخرة فاتجه علماء هذا العصر والغيورون على نشر العقيدة الصحيحة الى نشر مؤلفاته والبحث عنها فى مظانها المختلفة ، فطبعت كثير من مؤلفاته وعدد هائل من فتاواه ، ولعل من المناسب فى هذا المقام أن نذكر ما للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد من فضل فى تجميع شتات فتاوي شيخ الاسلام من مكتبات العالم وطبعها ، فرحم الله الشيخ محمد وأثابه على صنيعه هذا ، وجزاه عن العلم والعلماء خير الجزاء ، ومن ضمن هذه الفتاوى رسائل كتبها الشيخ لسائليه فى بلدان معينة حملت اسم هذه الاماكن طبعت مستقلة ليسهل اقتناؤها من ناحية ويقرأها الطلاب من ناحية أخرى كالحموية والواسطية والتدمرية والقبرصية والبعلبكية ، ويسرنا اليوم ـ اسهاما منا ـ فى نشر تراث الشيخ أن نقدم رسالة من رسائل الشيخ وسمت بالقاعدة المراكشية ، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يسهل الانتفاع بها وأن يمكن لها الانتشار والقبول حتى تسهم فى نشر العقيدة الصافية ٠

منهج تحقيق الرسالة

عثرنا على نسختين لهذه الرسالة احداهمـــــا ، وهى المخطوطة الأم التي اعتمدناها أصلا للتحقيق ، فى برليـــن ضمن مجموع حوى عددا من الرسائل ٠

وقد كتبت بخط نسخ غير مؤرخ وان كان يظن ان هذا الخط من خطوط القرن التاسع أو العاشر الهجري ، والثانية هي النسخة التي طبعها الشيخ محمد بن قاسم فى المجلـد الخامس ، وان كان لم يذكر من أي مكتبة حصل عليها ، الا أنه بعد مقابلتها بنسختنا الأم وضح لنا أن هناك بعـــض الفروق التي جعلتنا نرجح أنها نسخة ثانية ٠

أما منهجنا فى التحقيق فقد راعينا أن يكون على وفـق الطرق المعتبرة للتحقيق فقابلنا بين النسختين واثبتنا الفروق بينهما ثم حاولنا تخريج احاديث هذه الرسالة مع ترجمـة موجزة لبعض الاعلام التي وردت فى الرسالة ، وحرصنـا كذلك على تخريج كل قول أو رأي ينسبه الشيخ لقائله ٠

وأخيرا فانا نشكر كل من ساعد علي اخراج هذه الرسالة أو أعان على نشرها ، كما نسأل الله سبحانه وتعـالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به انه نعـــم المولى ونعم النصير ٠

٢٠/٦/١٤٠١ هـ

حياته ..

هو الشيخ الامام الرباني ، امام الائمة ، ومفتي الامة ، وبحر العلوم ، فريد العصر ، شيخ الاسلام ، وترجمان القرآن ، قامع المبتدعين ، واخر المجتهدين ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي التيمي ·

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الاول بحران سنة احدى وستين وستمائة ، وقدم به والده وباخوته الى دمشق عند استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين ·

سمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين ابن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدينبن عساكر والشيخ جمالالدين البغداديوالنجيب ابن المقداد وابن أبي الخير وابن علان وابن أبي بكر اليهودى والكمال عبد الرحيم والفخر علي وابن شيبان الشرف بن القواس وزينب بنت مكي وخلق كثير سمع منهم الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث ، وكتب الطباق والاثبات ، ثم اشتغل بالعلوم وكان ذكيا كثير

المحفوظ فيقال : انه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه وغيره ٠ (١)

مكانته ..

أثنى عليه علماء عصره ومن أتى من بعدهم ثناء كبيرا حتى ان بعضهم عده فى مكانة الفقهاء الاربعة لو لا بعد الزمن بينه وبينهم واليك طرفا من أقوالهم فى علمه فضلا عن عبادته وزهده وكرمه وصبره :

قال عنه ابن عبد الهادي (٢) : « كان بحرا لا تكدره الدلاء ، وخيرا يقتدي به الأخيار الالباء ، طنت بذكره الامصار ، وضنت بمثله الأعصار » ٠ قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج (المزى) : « ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه » ٠ وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى المصرى : « ٠٠٠ ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو درايته ، برز فى كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رات عينه مثل نفسه » ٠٠ وقال الشيخ

---

(١) البداية والنهاية : ١٤/١٣٦ ـ ١٣٧ ٠ العقود الدرية : ٢ ، ٣ ، ذيل طبقات الحنابلة : ٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨ ، الاعلام العلية : ١٨ ، جلاء العينين : ٥ . شذرات الذهب : ٦/٨٠ ـ ٨٦

(٢) العقود الدرية : ٧ . ١٠ . ١٢ ، ٢٦ ٠

علم الدين البرزالي فى معجم شيوخه : « ··· وكان اماما لا يلحق غباره فى كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين ··· » وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوي ، ولا أعلم أحدا من متقدمي الامة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من ذلك ، مع أن كثرة تصانيفه انما أملاها من حفظه ، وكثير منها صنفه فى الحبس وليس عنده ما يحتاج اليه من الكتب » ·

ويقول الحافظ البزار (١) : « أما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فانه فى ذلك من الجبال التي لا ترتقى ذروتها ، ولا ينال سنامها ، قل أن ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره ، أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل · »

وذكر ابن رجب بعض أقوال علماء عصره فيه فمنهم ابن دقيق العيد الذي يقول فى شيخ الاسلام بعد أن رآه فى مصر : « ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك » · وسئل ابن الزملكاني عن الشيخ فقال : لم ير من خمسمائة سنة أو اربعمائة سنة ـ شك من الناقل ، وغالب ظنه : أنه قال : من خمسمائة ـ احفظ منه » · ويحكى عن محمد بن قوام أنه كان يقول : « ما أسلمت معارفنا الا على يد ابن تيمية » ·· ويقول الواسطي : « قد شارف مقام الائمة الكبار ، ويناسب

---

(١) الاعلام العلية : ٣٢

قيامه فى بعض الامور قيام الصديقين » · ثم قال فى مقام آخر : « ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله الا هذا الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح : أن هذا هو الاتباع حقيقة » (١) ·

وقال الشيخ ابن الزملكاني (٢) : « اجتمعت فيه شروط الاجتهاد وعلى وجهها » ·

وقال ابن الوردي فى تاريخه (٣) : « كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره من الائمة يغترفون من السواقي ، وأما التفسير فسلم اليه ، وكان يكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة نحوا من أربعة كراريس » ·

وقال الواسطي (٤) : « فو الله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما ، وقياما فى حق الله تعالى عند انتهاك حرماته » ·

واتفق أن قاضي الحنفيةبدمشق شمس الدين بن الحريري انتصر للشيخ وكتب فى حقه محضرا فى ثلاثة

---

(١) جلاء العينين : ١٠

(٢) جلاء العينين : ١١

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ٣٩٢/٢ ـ ٣٩٣

(٤) البداية والنهاية : ١٣٧/١٤

عشر سطرا من جملتها : « أنه منذ ثلثمائة سنة ما رأى الناس مثله » (١) ٠

جهاد الشيخ ..

لقد كان شيخ الاسلام أنموذجا للعالم المسلم فى علمه وزهده وعبادته كما كان فى شجاعته وصبره وعفوه ٠ وقد حفظ لنا التاريخ فى ثناياه مواقف عدة تنبىء عن شجاعة ابن تيمية وشدة بأسه فى الجهاد ، فقد كان رحمه الله يحارب فى جبهتين شرستين : أولاهما : أهل البدع والخرافات ، وكانت حربه رحمه الله معهم عنيدة لا هوادة فيها ، وكان موقفه صلبا لا يتزعزع ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم رغم تكالب كثير من علماء عصره، وخاصة ذوي الجاه والمنصب منهم ضده والسعاية به لدى السلاطين والحكام ، فقد سخر قلمه رحمه الله لمقارعتهم ومحاربتهم على شتى فئاتهم من أهل بدعة فى دين الله أو دروشة ، وجرد حسامه على المناطقة والملاحدة والفلاسفة فكان أقوى عليهم من السيف المصلت وألف فى ذلك كتابين هامين هما : « نقض المنطق » و « الرد على المنطقين » ٠٠ وفى هذين الكتابين دحض حججهم وسفه براهينهم ٠ قال كلمته المشهورة (٢) : « أما بعد ، فاني كنت دائما أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج اليه الذكي ولا ينتفع به البليد » ٠

---

(١) جلاء العينين : ١٢

(٢) مقدمة كتاب « الرد على المنطقيين »

واليك طرفا من أقوال معاصريه فى شأن محاربته للبدع وفى بعض مواقفه الجريئة فى ازالة المنكرات :

يقول البزار (١) : « وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع فى بدعتهم ، وأهل الاهواء فى أهوائهم ، وما ألفه فى ذلك من دحض أقوالهم وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، واظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم ، وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية ، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية ، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية ، حتى ينكشف قناع الحق ، وبان بما جمعه فى ذلك وألفه للكذب من الصدق ، حتى لو أن أصحابها أحياء - ووفقوا لغير الشقا - لأذعنوا له بالتصديق ، ودخلوا فى الدين العتيق » .

وكان رحمه الله يرى أن التصدي لمثل هؤلاء الضالين ، والملاحدة واجبه وواجب غيره من العلماء ، ولذلك تصدى لهم فهو يقول (٢) : **« فاني رايت أهل البدع والضلالات** والأهواء كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة والقائلين بوحدة الوجود الدهرية والقدرية والنصيرية والجهمية والحلولية والمعطلة والمجسمة والمشبهة والراوندية والكلابية والسليمية وغيرهم من أهل البدعقد تجاذبوا فيها بأزمةالضلال،وبان لي أن كثيترا منهم انما قضد ابطال الشريعة المقدسة المحمدية

---

(١) المناقب العلية : ٣٥ ، ٣٦

(٢) المناقب العلية : ٣٣ ، ٣٤

الظاهرة العلية على كل دين ، وان جمهورهم أوقع النـاس فى التشكيك فى أصول دينهم ، ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقالاتهم الا وقـد تزندق أو صار على غير يقين فى دينه واعتقاده ، فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي : أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم ، وقطع حججهم وأضاليلهم ، أن يبـذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم ذبا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية » .

قال الذهبي رحمه الله (١) : « ولقد نصر السـنة المحمدية والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمـات وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الاولون والاخرون ، وهابوا وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه ، وبدعـوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنـه ، وسعـة دائرته فى السنة والأقوال مع ما اشتهر عنه من الـورع ، وكمال الفكر ، وسرعة الادراك ، والخوف من الله والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ، فانه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة والاستعانة به ، قوي التوكل ، ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يدونهـا بكيفية وجمعية ، وله من الطرف الآخر محبون من العلمـاء

---

(١) الذيل : ٢/٣٩٤ ، ٣٩٥

والصلحاء ومن الجند والامراء ومن التجار والكبـــراء ، وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا بقلمه ولسانه » ٠

ويقول الذهبي فى موضع اخر (١) : « ٠٠٠ ونظر فـى العقليات وعرف اقوال المتكلمين ، ورد عليهم ، ونبه علـى خطئهم ، وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهـر براهين ، وأوذي فى ذات الله من المخالفين ، وأخيف فـي نصر السنة المحضة ، حتى أعلى الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وهدى به رجالا مـن أهل الملل والنحل ـ وجلب قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا ، وعلى طاعته وأحيا به الشام بل والاسلام بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي مـن خيلائهم » ٠

اما أبو حيأن النحوي فيرى أن موقف شيخ الاسلام مـن الخرافات والبدع وما أتم الله على يديه من الاصلاح شبيه بموقف أبي بكر رضي الله عنه أيام الرده يقول (٢) :

لما رأينا تقي الدين لاح لنـــا
داع الى الله فردا مـاله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا
خير البرية نور دونه القمـــر

---

(١) الذيل : ٣٨٩/٢ ، ٣٩٠

(٢) الذيل : ٣٩٢/٢ ، جلاء العينين : ١٢ ، شذرات الذهب : ٨٣/٦

حبر تسربل منه دهره حبـرا

بحر تقاذف من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا

مقام سيدتيم (١) اذ عصت مضر

فاظهر الدين إذ آثاره درست

واخمد الشرك اذ طارت لهشرر

وكان الشيخ رحمه الله يقوم بنفسه أو بمن معه بازالـة المنكرات بيده ، فقد مر يوما على قوم يلعبون بالشطرنـج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين ، فنفض الرقعة وقلبها فبهت الذي يلعبها والناس من فعله ذلك (٢) .

وفى يوم جمعة دار الشيخ رحمه الله ومن معه مـن اصحابه على الخمارات والحانات فى بلاد الشام فكسـروا آنية الخمر وشققوا الظروف وأراقوا الخمور ، وعـزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففـرح الناس بذلك (٣) .

وفى يوم جمعة آخر ، خرج الشيخ ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال الجيش الذى ذهب الى جبـال الجرد وكسروان « بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفـرهم وضلالهم وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتـر

---

(١) سيد تيم هو ابو بكر الصديق رضى الله عنه .

(٢) العقود الدرية : ٢٨٨

(٣) البداية والنهاية : ١٤/١١

وهربوا حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، فلما وصلوا الى بلادهم جاء رؤساؤهم الى الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب ، وحصل بذلك خير كثير ، وانتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها الى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون فى طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » (١) ٠

كل هذا وشيخ الاسلام يعاني فى سبيل هذا الاصلاح أشد المعاناة حتى وصف ما يلاقيه من المبتدعة والملاحدة بانه اشد من حربه لجيش قازان ، يقول : (٢) « بل جاهدنا فى هذا مثل جهادنا يوم قازان والجبلية ، والجهمية ، والاتحادية ٠ وأمثال ذلك وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٠ »

ويبتلى الشيخ من علماء السوء كما ابتلي غيره من المصلحين ، وما محنة امامه المجاهد العظيم أحمد بن حنبل الا مثال لما تبتلى به العقول المصلحة ، ولكنه يصبر ويحتسب بل ويعد السجن نعمة من الله ، يقول فى ورقة كتبها من السجن (٣) : « ونحن فى نعم عظيمة لا تحصى

---

(١) العقود الدرية : ٣٦٦

(٢) العقود الدرية : ١٢

(٣) العقود الدرية : ٣٦٧

ولا تعد ، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، ثم ذكر كلاما وقال : « كل ما يقضيه الله فيه الخير والرحمة والحكمة ... » .

ويقول أيضا عبارته المشهورة (١) : « ان فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ... ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني فى صدري ، أين رحت فهي معي لا تفارقني . أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة » . لا يقول مثل هذا القول الا عظماء الرجال الذين لا يهمهم ما يلاقونه من سجن أو قتل أو نفي فى سبيل ما يعتقدون ، وما أقلهم ؟ .

ولله در الشيخ فهو رغم انتصاره على مناوئيه وساجنيه والساعين ضده ، كان لا ينتصر لنفسه ، وكان يعفو عنهم . وقصص عفوه عمن آذوه كثيرة ولولا ضيق المقام لذكرت طرفا منها (٢) .

ثانيهما : جبهة المعارك الفعلية ، فقد خاض الشيخ المعارك بنفسه ومنع الناس من التولي والهرب أيام التتار ، وحرض الحكام على حربهم ، وكان شجاعا فى حربه بالسيف كما كان شجاعا فى قوله بالحق ، وقد شهد له من كتب عنه من معاصريه أو أرخوا له من بعد بشجاعته الفائقة

---

(١) الذيل نقلا عن ابن القيم : ٤٠٢/٢

(٢) العقود الدرية : ٢٨٢ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٩ خبران من اخبار عفوه وحلمه عمن أساء اليه فلتراجع .

وصفه البزار فقال (١) : « كان رضي الله عنه من أشجع الناس واقواهم قلبا ، ما رايت احدا أثبت جاشـا منه ، ولا أعظم غناء فى جهاد العدو منه ، كان يجاهد فى سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وأخبـر غير واحد : أن الشيخ رضي الله عنه كان اذا حضر مـع عسكر المسلمين فى جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم ، ان راى من بعضهم هلعا أو رقة أو جبانة شجعه وثبتـه وبشره ، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضـل الجهاد والمجاهدين ، وأنزل الله عليهم السكينة ، وكان اذا ركب الخيل يتحنك ويجول فى العدو كأعظم الشجعـان ، ويقوم كأثبت الفرسان ، ويكبر تكبيرا أنكى فى العدو مـن كثير من الفتك بهم ، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخـاف الموت . »

ووصفه علم الدين البرزالي فقال (٢) : « ... وأما شجاعته وجهاده واقدامه فأمر يتجاوز الوصف ، ويفـوق النعت . »

ويقول الذهبي رحمه الله : (٣) وأما شجاعته ففيهـا تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه أكابر الابطال ، فلقـد أقامه الله فى نوبة غازان ، والتقى أعباء الأمر بنفسـه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمع بالملك مرتين وبقطلو شاه

---

(١) المناقب العلية : ٦٩ .
(٢) العقود الدرية : ٢٣
(٣) الذيل : ٢/٢٩٥

وبيولاي ، وكان قبجق يتعجب من اقدامه وجراته على المغول » ٠

وقد خاض ألشيخ عددا من المعارك وابلى فيها بلاء حسنا حمده المؤرخون عليه ، ومن تلك المعارك : معركة فتح عكا فقد ذكروا : « انهم رأوا منه فى فتح عكا أمورا من الشجاعة يعجز الوصف عن وصفها ، قالوا : ولقد كان السبب فى تملك المسلمين اياها وبفعله ومشورته وحسن نظره » (١)

ومن المعارك الشرسة التي حضرها الشيخ وابلى فيها ، معركة « شقحب » بين أهل الشام والتتار ٠٠ ولقد ذكر ابن كثير هول تلك المعركة ومواقف الشيخ المشهودة فيها (٢)

وكان للشيخ اسهام كبير فى مداولاته مع التتار اسفرت عن حقن دماء المسلمين أو اطلاق أسراهم (٣) ٠ ويذكر التاريخ أيضا أن الشيخ رحمه الله يعود اليه الفضل في تحريض واستنفار سلاطين مصر لحرب التتار ٠ فقد « سافر الشيخ مرة على البريد الى الديار المصرية يستنفر السلطان عند مجيء التتر سنة من السنين ، وتلا عليهم آيات الجهاد ، وقال : ان تخليتم عن الشام ونصرة أهله ، والذب عنهم ، فان الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم ويستبدل بكم سواكم ، وتلا قوله تعالى : « وان

---

(١) المناقب العلية ٧٠

(٢) العقود الدرية : ١٨

(٣) البداية والنهاية : ٢٣ ـ ٢٦

تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » وقوله تعالى : « الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » ، وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد – وكان هو القاضي حينئذ – فاستحسن ذلك وأعجبه هذا الاستنباط وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام · »

وللشيخ مواقف مشهودة لولا ضيق المقام لذكرت لك طرفا منها ·

وفاته ..

توفي رحمه الله – وهو بسجنه فى القلعة – سحر ليلة الاثنين عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، فحزن الناس عليه حزنا شديدا ، وكان لجنازته هيبة ووقار لم يشهد مثلها الا فى جنازة أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولنترك البزار يروي لنا هذه الحادثة بقوله : (١)

« فما هو الا أن سمع الناس بموته فلم يبق فى دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه ، ألا حضر لذلك وتفرغ له ، حتى غلقت الاسواق بدمشق ، وعطلت معايشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابها ، وخرج الأمراء والرؤساء ، والعلماء والفقهاء ،

---

(١) العقود الدرية : ١١٩ ، المناقب العلية : ٧٠ – ٧٥ ، البداية والنهاية ٧/١٤ – ١٦

والأتراك والأجناد ، والرجال والنساء ، والصبيان من الخواص والعوام ، ولم يتخلف أحد من غالب الناس فيما أعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته ، فاختفوا من الناس خوفا على أنفسهم ، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم ·· ثم أخرجت جنازته فما هو الا أن رآها الناس حتى اكبوا عليها من كل جانب كل منهم يقصد التبرك بها « رغم معارضته لذلك » حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله الى القبر ، فأحدق بها الأمراء والأجناد ، واجتمع الأتراك ، فمنعوا الناس من الزحام عليها خشية من سقوطها ، وعليهم من اختناق بعضهم ، وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل ما يمكنهم وهم لا يزدادون الا ازدحاما وكثرة ، حتى أدخلت جامع بني أمية المحروس ، ظنا منهم أنه يسع الناس ، فبقي كثير من الناس خارج الجامع ··· قال أحدهم : وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع ، وكان لي مستشرف على المكان الذي صلي فيه عليه بظاهر دمشق ، فأحببت أن أنظر الى الناس وكثرتهم ، فأشرفت عليهم حال الصلاة ، وجعلت أنظر يمينا وشمالا ولا أرى أواخرهم ، بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الأرض كلها ··· واتفق جماعة من حضر حينئذ وشاهد المصلين عليه على أنهم يزيدون على خمسمائة الف ، وقال العارفون بالنقل والتاريخ : لم يسمع بجنازة بمثل هذا الجمع الا جنازة الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ··· وما وصل خبر موته الى بلد فيما نعلم الا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه ، خصوصا أرض مصر والشام والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها ·

ويضيف ابن رجب (١) : « ورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى ، واقطار متباعدة ، وتأسف المسلمون لفقده رضي الله عنه ورحمه وغفـر له ، وصلي عليه صلاة الغائب فى غالب بلاد الاسلام القريبـة والبعيدة حتى فى اليمن والصين ، واخبر المسافرون انـه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة » «الصلاة على ترجمان القرآن ٠ » (٢)

رحم الله شيخ الاسلام وجزاه الله عن الاسـلام والمسلمين خير الجزاء ولقد صدق الامام احمد رحمه الله حينما قال : « بينا وبين أهل البدع يوم الجنائز » ٠

(١) الذيل : ٤٠٧/٢

(٢) المناقب العلية : ٨٤ ـ ٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

القاعدة المراكشية

لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية ، قدس الله روحه ونور ضريحه ، ألفها بالديار المصرية في شهور سنة اثنتي عشر وسبعمائة عند حصول التنازع بين طائفة من المغاربة المالكيين الذين سلموها وعظموها واستصحبوها الى بلاد المغرب ٠

وكان من غريب اصطناع الله سبحانه لعبده هذا انه جعل مقامه ومحنته وانتصاره بالديار المصرية سببا عظيما لانتشار علمه ببلاد المغرب لأن مصر لأجل الحج وجه تلك البلاد الفسيحة كما أن الشام لأجل الحج ايضا وجه البلاد المشرقية والله تعالى أراد علو كلمة هذا الامام المحقق الناقد البارع وانتشار صيته وعلمه فى مشارق الارض ومغاربها فاقام سبحانه لذلك أسبابا وفتح له أبوابا ، والمؤلفات التي انتقلت من ديار مصر الى بلاد المغرب على أيدي طلبة العلم والدين لا يحضرني عددها لكثرتها وقد رأيت واحدا من أعيانهم وقد استصحب أربعة عشر مصنفا وآخر أكبر منه استصحب اكثر من ذلك واجل فنشره ببلادهم ثم عاد ليأخذ قطعة اخرى ، واما ما نقل متفرقا فانه كثير جدا ولله تعالى فى خلقه امر هو بالغه لا اله الا هو عليه (توكلت) واليه متاب ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، سئل شيخ الاسلام فريد الزمان بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه عن رجلين تباحثا فى مسألة الاثبات للصفات والجزم باثبات العلو على العرش ، فقال أحدهما : لا يجب على أحد معرفة هذا ولا البحث عنه بل يكره له كما قال الامام مالك للسائل : « وما أراك الا رجل سوء » (١) ٠ انما يجب عليه أن يعرف ويعتقد أن الله تعالى واحد فى ملكه وهو رب كل شيء ومليكه وخالقه ، بل من تكلم فى شيء من هذا فهو مجسم حشوي ، فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطيء ، واذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا اثبات الصفات والعلو على العرش الذي هو أعلى المخلوقات (ويعرفوه وما معنى التجسيم والحشو (٢) ؟) أفتونا فى ذلك وأبسط القول بسطا شافيا يزيل الشبهات مثابين مأجورين ان شاء الله تعالى ٠

فأجاب المشار اليه قائلا : (٣)

الحمد لله رب العالمين ، يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فماجاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا

---

(١) شرح حديث النزول : ٣٢

(٢) مزيدة من ط ٠

(٣) كلمة : المشار اليه قائلا ساقطة من ط

عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه . وقد قال الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » (١) .

وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لايحتاج الى تقرير (هنا) (٢) وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به القرآن (٣) والسنة كما قال الله تعالى : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٤) .

وقال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة » (٥) . وقال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » (٦) . وقال تعالى « ومأأرسلنا

(١) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦

(٢) مزيدة من ط

(٣) فى ط : به فى القران

(٤) آل عمران : ٦٤

(٥) البقرة : ١٥١

(٦) البقرة : ٢٣١

من رسول الا ليطاع باذن الله » (١) · وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) · وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » (٣) ·

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الأولين وعمن تبعهم باحسان (الى يوم الدين) (٤) · كما قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٥) · ومما جاء به الرسول اخباره تعالى بأنه قد أكمل الدين بقوله سبحانه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٦) · ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى: « وما على الرسول الا البلاغ المبين » (٧) · وقال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » (٨) · وقال تعالى : « ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت

---

(١) النساء : ٦٤

(٢) النساء : ٦٥

(٣) النساء : ٥٩

(٤) مزيد من ط

(٥) التوبة : ١٠٠

(٦) المائدة : ٣

(٧) مزيد من ط

(٨) النحل : ٤٤

رسالته والله يعصمك من الناس » (١) ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا فان كتمان ما أنزله الله تعالى يناقض موجب الرسالة ، كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة · ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما أنزل اليه من ربه ، وقد أخبر الله بأنه (قد) (٢) أكمل الدين ، (وانما كمل) (٣) بما بلغه اذ الدين لم يعرف الا بتبليغه فعلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » · وقال : « ماتركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار وقد حدثتكم به » (٤) وقال أبو ذر : « لقد توفي

---

(١) المائدة : ٦٧

(٢) مزيدة من ط

(٣) سنن ابن ماجة : ١/٤ ، ١٦

(٤) رواه الطبراني فى المعجم الكبير ، ٢/١٦٦ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد القرى وهو ثقة ٨/٢٦٤ ولفظ الطبرانى فيه وقول أبى ذر الذى يليه · ورواه البيهقى فى السنن الكبرى من حديث المطلب بن حنطب ٤/٩١ والشافعى فى الرسالة رقم ٢٨٩ ، والحاكم من حديث ابن مسعود وبلفظ قريب منه ٢/٤ ·

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحه فى السماء الا افادنا منه علما » (١) ٠٠

اذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسماء الله وصفاته مما جاء فى القرآن وفى السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا ينقلون (٢) مافى ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : « لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » (٣) وقد أقام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة فى تعلم البقرة ثماني سنين (٤) لأجل الفهم والمعرفة ٠

(١) مسند احمد : ٥/١٦٢ ، ابن جرير : ٧/١٢٠ ابن كثير ٣/١٣١ ، ونصه : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتقلب فى السماء طائر الا ذكرنا منه علما » ٠

(٢) فى ط : يتلقون

(٣) الطبرى : ١/٢٨ ، زاد المسير : ١/٤ ، ابن كثير : ١/٣ ورواه الامام احمد وفى اسناده عطاء بن السائب اختلط فى آخر عمره ، انظر مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى ١/١٦٥

(٤) الموطا : ١٣٧ ، ١٣٨ ، تفسير القرطبى : ١/٤٠

وهذا معلوم من وجوه ..

أحدها : أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم باقرآن (المنزل عليهم) (١) لفظا ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد فانه قد علم أنه من قرأ كتابا فى الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فانه لابد أن يكون راغبا فى فهمه وتصور معانيه فكيف بمن قرأوا كتاب الله المنزل اليهم الذى به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي · فمن المعلوم أن رغبتهم فى فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات بل اذا سمع المتعلم من العالم حديثا فانه يرغب فى فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه ، بل ومَن المعلوم أن رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريفهم معاني القرآن العظيم أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه ، فان معرفة الحروف بدون المعاني لاتحصل المقصود اذ اللفظ انما يراد للمعنى ·

الوجه الثاني : أن الله قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه فى غير موضع · كما قال تعالى : « كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته » (٢) وقال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم اقفالها » (٣) وقال تعالى« أفلم يدبروا

---

(١) مزيدة من ط

(٢) ص : ٢٩

(٣) محمد : ٢٤

القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين » (١) • وقال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٢) ، فاذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها ، فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين ، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم •

الوجه الثالث : أنه قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٣) وقال تعالى : « انا جعلنا قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٤) •

فبين أنه أنزله عربيا لأن يعقلوا ، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه •

الوجه الرابع : أنه ذم من لا يفهمه فقال تعالى : « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » (٥) • وقال تعالى : « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » (٦) • فلو كان المؤمنون لايفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله به •

---

(١) المؤمنون : ٦٨

(٢) النساء : ٨٣

(٣) يوسف : ٢

(٤) مزيدة من ط •

(٥) الاسراء : ٤٥

(٦) النساء : ٧٨

الوجه الخامس : أنه ذم من لم يكن حظه من السماع الا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون » (١) · وقال تعالى : «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (٢) · وقال : « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهمواتبعوا اهواءهم»(٣) وأمثال ذلك ، وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا : ماذا قال آنفا ؟ أى الساعة ، وهذا كلام من لم يفقه قوله فقال تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم » ·· فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله عليه ·

الوجه السادس : أن الصحابة رضي الله عنهم فسروا للتابعين القرآن كما قال مجاهد : « عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى اخره أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » (٤) ولهذا قال سفيان الثوري : « اذا جاءك

---

(١) البقرة : ١٧١

(٢) الفرقان : ٤٤

(٣) محمد : ١٦

(٤) الطبرى ١/٣١، ابن كثير : ٤/١ ونصه : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته ···· »

التفسير عن مجاهد فحسبك به » (١) وكان ابن مسعود يقول : « لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل لاتيته » (٢) وكل واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه من التفسير ما لم يحصه الا الله ، والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها ، فان قال قائل : فقد اختلفوا فى تفسير القرآن اختلافا كثيرا ولو كان ذلك معلوما عندهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيه ! فيقال : الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن ائمة التابعين فى القرآن أكثره لايخرج عن وجوه : (٣) ٠

أحدها : أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه ، فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الآخر مع أن كليهما حق بمنزلة تسمية الله بأسمائه الحسنى وتسمية الرسول بأسمائه وتسمية القرآن العزيز بأسمائه فقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى » (٤) ٠ فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كان كل اسم يدل على نعت لله تعالى لا يدل عليه الاسم الآخر ، ومثال هذا

---

(١) الطبرى : ٣١/١ ، ابن كثير : ٤/١ ، ٥

(٢) البخارى : ١٠٢/٦ ، القرطبى : ٣٥/١ ، ابن كثير ٣/١

(٣) تعرض الشيخ لهذا الموضوع فى كتابه « مقدمة فى أصول التفسير» فانظر : ٣٨ ـ ٥٥

(٤) الاسراء : ١١٠

التفسير : كلام العلماء فى تفسير الصراط المستقيم فهـذا يقول : هو الاسلام (١) · وهذا يقول : هو القرآن (٢) أى اتباع القرآن ، وهذا يقول : هو السنة والجماعة · وهـذا يقول : طريق العبودية (٣) ، وهذا يقول : طاعة اللـــه ورسوله · ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلهـا ويسمى بهذه الأسماء كلها ولكن كل منهم دل المخاطب على النعت الذي يعرف به الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت ·

الوجه الثاني : أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لا على سبيل الحصر والاحاطة كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ الخبز فأرى رغيفا فقيل : هذا هو ، فذاك مثال للخبز واشارة الى جنسه لا الى ذلك الرغيف خاصة ، ومن هذا ما جاء عنهم فى قوله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (٤) ·

فالقول الجامع : أن الظالم لنفسه هو المفرط لتـــرك مأمور أو فعل محظور ، والمقتصد : القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات والسابق بمنزلة المقرب الذى يتقرب الـى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق ، ثم ان كـلا

---

(١) الطبرى : ٥٧/١ ، زاد المسير : ١٥/١ ، مسند أحمـــد : ١٨٢/٤ ، الترمذى : ٣٤٥/٤

(٢) الطبرى : ٥٧/١ ، زاد المسير : ١٥/١

(٣) زاد المسير : ١٥/١

(٤) فاطر : ٣٢

منهم يذكر نوعا من هذا ، فاذا قال القائل : الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها والمقتصد المصلي لها فى الوقت والسابق المصلي لها فى أول الوقت حيث يكون التقديم أفضل ، وقال آخر : الظالم لنفسه هو البخيل الذى لا يصل رحمه ولايؤدي زكاة ماله ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف ، والاعطاء فى النائبة ، والسابق الفاعل للمستحب بعد الواجب كما فعل الصديق (١) حين جاء بماله كله (٢) ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا ، وقال آخر : الظالم لنفسه الذى يصوم عن الطعام لا عن الآثام ، والمقتصد الذى يصوم عن الطعام والآثام والسابق الذي يصوم عن كل ما لا يقربه الى الله وأمثال ذلك (٣) لم تكن هذه الاقوال متنافية بل كل ذكر نوعا مما تناولته الآية ٠

الوجه الثالث : أن يذكر أحدهم لنزول الآية سببا ويذكر الآخر سببا آخر لا ينافي الأول ، ومن الممكن نزولها لأجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا ، وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض فهذا قليل بالنسبة الى ما لم يختلفوا فيه كما أن تنازعتمفى بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام

---

(١) فى ط : الصديق الاكبر

(٢) الحلية : ١/٨٢

(٣) انظر تفسير البغوى : /٣٠٣ ، القرطبى : ٣٤٨/١٣ ، ٣٤٩ ، وقد بسط القول فى معنى الالفاظ الثلاثة كل من الفخر الرازى : ٢٤/٢٦ ، ٢٥ وابن كثير : ٣/٥٥٤ . ٥٥٥ . وابن جرير : ٨٨/٢٢ ، ٨٩ ، والسيوطى : ٢٥٢/٥ ، ٢٥٣ ، والالوسى : ١٩٦/٢٢ . ١٩٧

والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وجملتها منقولة عنه بالتواتر ، وقد تبين أن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة وأمر أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرن ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة ٠ وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة (١) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه » (٢) ، فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل : انه فى القرآن ولم نفهمه نحن أو قيل : ليس فى القرآن كما أن ما اتفق عليه السابقون الأولون والذين اتبعوهم باحسان ، فعلينا أن نتبعهم فيه سواء قيل انه منصوص (١) فى السنة ولم يبلغنا ذلك أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة ٠

فصل : فاذا تبين ذلك فوجوب اثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه :

أحدها : أن يقال : ان القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات تارة يخبر أنه خلق السموات والأرض فى ستة

---

(١) البخارى : ٦/٢٣ ، الطبرى : ٨/٢٢

(٢) المسند : ٤/١٣١ ، سنن أبى داود : ٢/٥٠٥ ، ابن كثير : ١/٣

(١) فى ط : كان مخصوصا

أيام ثم استوى على العرش · وقد ذكر الاستواء على العرش فى سبعة مواضع (١) ، وتارة يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه كقوله تعالى : « بل رفعه الله اليه » (٢) · « انى متوفيك ورافعك الي » (٣) ، « تعرج الملائكة والروح اليه » (٤) ، وقوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (٥) · وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » (٦) ، « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » (٧) ، « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » (٨) « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (٩) وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى كقوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى » (١٠) ، وقوله : « وهو العلى العظيم » (١١)، وتارة يخبر بأنه فى السماء كقوله : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من فيالسماء أن يرسل عليكمحاصبا » (١٢) · فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر فى قوله تعالى :

---

(١) الاعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، الفرقان : ٥٩ ،السجدة : ٤ ، الحديد : ٤ ، طه : ٥

(٢) النساء : ١٥٨

(٣) آل عمران : ٥٥

(٤) المعارج : ٤

(٥) فاطر : ١٠

(٦) الانعام : ١١٤

(٧) النحل : ١٠٢

(٨) فصلت : ١ ، ٢

(٩) الزمر : ١

(١٠) الاعلى : ١

(١١) البقرة : ٢٥٥ ، الشورى : ٤

(١٢) الملك : ١٦ ، ١٧

« وهـــو الـذي فى السمـــــــاء الـــه وفـى الأرض اله » (١) ٠ وقوله تعالى : « وهو الله فى السموات وفـي الأرض » (٢) ، وكذلك قـــال النبـي صلـى الله عليــه وسلم : « ألا تأمنوني وأنا أمين من فى السماء » (٣) ٠ ٠ وقال للجارية : « أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قـــال : أعتقها فانها مؤمنة » (٤) ، وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض كقوله تعالى : « وله من فى الســــــموات والأرض » (٥) ، ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله تعالى : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » (٦) ٠ فلو كان موجب العندية معنى عامـــا كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته بل مسبحا لــــه ساجدا ، وقد قال تعالى : « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (٧) ،وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردا على الكفار المستكبرين عن عبادته وأمثال هذا فى القرآن لا يحصى الا بكلفة ٠

---

(١) الزخرف : ٨٤

(٢) الانعام : ٣

(٣) البخارى : ٥/١١٠ ، المســـند : ٣/٤ ، الحلية : ٥/٧٢ ، مسلم : ٢/٧٤٢

(٤) الموطأ : ٥٥٣ ، المســـند : ٥/٤٤٨ ، سنن أبى داود : ٣/٢٣١ ، صحيح مسلم : ١/٣٨٢

(٥) الانبياء : ١٩ ، الروم : ٢٦

(٦) الاعراف : ٢٠٦

(٧) غافر : ٦٠

وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فــــلا يحصيها الا الله تعالى فلا يخلو اما أن يكون ماشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله نفسه على خلقه هو الحق أو الحــق نقيضه ، والحق (١) لا يخرج عن النقيضين واما أن يكون هو نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق · كما تقول الجهمية ثم تارة يقولون لا فوقهم ولا فيهـــــم ولا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا مجانب ، وتـــارة يقولون : هو بذاته فى كل مكان (٢) ، وفى كلا المقالتين (٣) يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه ، فاما أن يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه ، فان كان نفي ذلك هو الحق فمعلــوم أن القرآن لم يبين هذا قط لانصا ولا ظاهرا ولا الرســول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم ، ولا يمكن لأحد (٤) أن ينقل عن واحــد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به · وأما (٥) من نقلالاثبات عن هؤلاء فأكثر من أن يحصر ، فان(كان) (٦) الحـــق هو النفي دون الاثبات والكتاب والسنة والاجماع انمــا دل على الاثبات · ولم يذكر النفي أصلا لزم أن يكون الرسول

---

(١) فى ط : اذ الحق

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية : ٩٥ ، االختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة : ٢٣٩ ، الرد على الجهمية : ٢٦٨

(٣) فى ط : وفى المقالتين كلتيهما

(٤) فى الاصل : أحدا

(٥) فى ط : ما نقل

(٦) مزيدة على النص من ط ·

والمؤمنون لم ينطقوا بالحق فى هذا الباب بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب ، ومعلوم أن من اعتقد هذا فى الرسول والمؤمنين فله أوفر حظ من قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (١) .

فان القائل اذا قال : هذه النصوص أريد بها خلاف ما يفهم منها أو خلاف ما دلت عليه أو أنه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه وانما أريد بها علو المكانة ونحو ذلك ، كما قد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع فيقال له : فكان يجب أن يبين للناس الحق الذى يجب التصديق به باطنا وظاهرا بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه ، فان غاية ما يقدر أنه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة ، والباطن المخالف للظاهر ، ومعلوم باتفاق العقلاء أن المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلابد أن يقرن بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي ، فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذى بين للناس ما نزل اليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذى لم يرد لاسيما اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده فى الله فانه عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا فى الله ما لا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك ، فكيف اذا

(١) النساء : ١١٥

كان خطابه هو الذى يدلهم على ذلك الاعتقاد الذى يقـــول النفاة هو اعتقاد باطل فاذا لم يكن فى الكتاب والسنة ولا كلام أحد من السلف والأئمة ما يوافق قول النفاة أصـــلا بل هم دائما لا يتكلمون الا بالاثبات امتنع حينئذ الا يكون مرادهم الاثبات وأن يكون النفي هو الذى يعتقدونـــــــه ويعتمدونه ولو لم يتكلموا به قط (١)ولم يظهروه وانماأظهروا ما يخالفه وينافيه ، وهذا كلام مبين لا مخلص لاحد عنهلكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام ، أمـــا المتفلسفة والقرامطة فيقولون : ان الرسل كلموا الخلـــق بخلاف ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون وربمـــا يقولون : انهم كذبوا لأجل مصلحة العامة (٢) فان مصلحتها لا تقوم الا باظهار الاثبات ، وان كان فىنفس الأمر باطلا ، وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قـــول متناقض فى نفسه فانه يقال : لو كان الأمر كما تقولـــــون والرسل من جنس رؤسائكم لكان خواص الرسل يطلعـــون على ذلك ولكانوا يطلعون خواصهم على الأمر فكان يكـــون النفي مذهب خاصة الأمة وأكملها عقلا وعلما ومعرفـــة ،

(١) فى ط : وهم لم يتكلمون

(٢) انظر شرح الطحاوية : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، معارج الوصول : ٤ ، ٥ وقد بسط الشيخ الكلام فى هذه المسألة فى كتاب النبوات خاصة صفحة ١٧٢

والامر بالعكس فان (من) (١) تأمل كلام السلف والائمة وجد أعلم الأمة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم (٢) أعظم الخلق اثباتا وكذلك أفاضل (٣) التابعين مثل سعيد بن المسيب وأمثاله وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين بل النقول عن هؤلاء فى الاثبات (٤) يخبر عن اثباته كثير من الناس وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار (٥) وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري (٦) ٠٠ ما يروى أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره الا أهل الغرة بالله (٧) تأولوا ذلك على ما جاء من الاثبات لأن ذلك ثابت عن الرسول

---

(١) مزيدة على النص

(٢) فى ط : وهم أعظم

(٣) فى ط افضل

(٤) فى ط يجبن

(٥) السجستانى قال الذهبى : كان لابن عمار جلالة عجيبة بتلك الديار وكان يعرف أهل الحديث ٠ مات سنة اثنتين وعشرين واربعمائة » العلو للذهبى ، ص ١٧٧ ٠

(٦) الامام الزاهد أبو اسماعيل محمد بن على الانصارى الهروى كان اماما متقنا قائما بنصرة السنة المبتدعة ، قال ابن طاهر سمعته يقول : « عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك ، ولكن يقال لى اسكت عمن خالفك ٠ فأقول لا أسكت ٠ مات سنة احدى وثمانين واربعمائة » طبقات الحفاظ ص ٤٤١ ٠

(٧) اللآلىء المصنوعة : ٢٢١/١

والسابقين والتابعين لهم باحسان بخلاف النفي ، فانـــه لايوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه ، وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف فى الاثبات ما لايحصى عدده الا رب السموات ، ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم فى النفي بحـرف واحد الا أن يكون من الأكاذيب المختلقة التي ينقلها من هو من أبعد الناس عن معرفة كلامهم ومن هو من لا يتمسك الا بمجملات سمعها ، بعضها كذب وبعضها صدق مثلمـــا ينقلونه عن عمر أنه قال : « كان النبي صلى الله عليهوسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما » . فهذا كـذب باتفاق أهل العلم بالأثر (٢) وبتقدير صدقه فهو مجمـــل، فان (٣) قال أهل الاثبات كان ما يتكلمان فيه من هـــذا الباب لموافقته ما نقل عنهما كان أولى من قول النفاة أنهما يتكلمان بالنفي ، وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قـال : « حفظت عن رسول الله جرابين أما أحدهما فبثثته فيكـم وأما الاخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم » (٤) فان هـذا حديث صحيح لكنه مجمل وقد جاء مفسرا أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم ولو قدر أن فيه ما يتعلق بالصفـات فليس فيه ما يدل على النفي بل الثابت المحفوظ من أحاديث

---

(١) مزيـــدة .

(٢) انظر المنار المنيف : ٦٣ ، ٦٤ ، الاسرار المرفوعة : ٤٧٦

(٣) فى ط : فـــاذا

(٤) البخارى : ٣٨/١ ، الاصابة : ٢٠٨/٤ وفيهـــا (وعاءين) بـدل جرابين .

أبي هريرة كحديث اتيانه سبحانه يوم القيامة (١) وحديث النزول (٢) والضحك (٣) وأمثال ذلك كلها على الاثبات ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد من جنس قول النفاة ، وأما الجهمية المتكلمة فيقولون : ان القرينة الصارفة لها عما دل عليه الخطاب هو العقل فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقةلمذهب النفاة فيقال لهم أولا فحينئذ اذا كان ما تكلم به انما يفيدهم الاضلال (٤) وانما يستفيدون الهدى من عقولهم ، كـــان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ولم ينصب لهم أسباب الهدى وأحالهم فى الهدى على نفوسهم فيلزم على قولهم أن تركهم فى الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم

---

(١) أنظر البخارى : ١٧٩/٨ ، وسنن أبى داود : ٢٣٣/٤ وســـنن ابن ماجة : ٦٣/١

(٢) البخارى : ٤٧/٢ ، مسلم : ٥٢١/١ ، ســـنن ابى داود : ٢٣٤/٤ ، سنن الترمذى : ٢٧٧/١ ، سنن الـــدارمى : ٣٤٦/١ ، ٣٤٧ ، الموطأ : ١٤٢ ، مسند أحمد : ٢٦٤/٢ ، ٢٦٥ ، السنن الكبرى : ١/٣ .

(٣) ورد فى الضحك أحاديث صحيحة ورد منها :

« يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الجنة ... الحديث » البخارى : ٣٢١/٣ ، ابن ماجة : ٦٨/١ ، الموطأ : ٣٠٦ ، مسلم : ١٥٠٤/٣ ، سنن النسائى : ٣٢/٦ .

وحديث « ... حتى يضحك الله فاذا ضحك الله منه أذن له بالدخول فيها » مسند أحمد : ٢٧٦/٢

وحديث : « ضحك الله الليلة من فعالكما » البخارى : ٢٢٦/٤ .

وحديث : « ضحك ربنا من قنوط عباد وقرب غير » ابن ماجة : ١'

وحديث : « ثلاثة يضحك الله اليهم ... » مسند أحمد : ٣/٠

(٤) فى ط : مجرد الضلال

بل ضرتهم ، ويقال لهم ثانيا فالرسول صلـــى اللـــه عليه وسلم قد بين الاثبات الذي هو أظهر فى العقل (١) ظهـــر من قول النفاة مثل ذكره لخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الامور التي تعلم بالعقل أعظم مما يعلم نفـــي الجهمية وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الاثبات فكيف يحيلهم على مجرد العقل فى النفي الذى هو أخفى وأدق ، وكلامه لم يدل (عليه بل دل) (٢) على نقيضه وضده ومن نســـب هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فالله حسيبه علـــى ما يقول ٠

والمراتب ثلاث : اما أن يتكلم بالهدى أو بالضـــلال أو يسكت عنهما ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكـــلم بما يضل ، وهنا يعرف بالعقل أن الاثبات لم يسكت عنه بل بينه (وكان) (٣) ماجاء به السمع موافقا للعقل فكـــان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل ، واذا لم يفعل ذلك فالسكوت (٤) عنه أسـلم للأمة ، أما اذا تكلم فيه بما يدل على الاثبات وأراد منهم أن لا يعتقدوا الا النفي لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فاضافة هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أعظم أبـــواب الزندقة والنفاق ويقال لهم ثالثا : من الذى سلم لكـــم أن

---

(١) فى الاصل هو العقل أظهر ، والتصويب من ط ٠

(٢) مزيدة من ط ٠

(٣) مزيدة من ط ٠

(٤) فى ط : كان السكوت ٠

العقل يوافق مذهب النفاة ؟ بل العقل الصريح انما يوافق وما أثبته الرسول وليس بين المعقول (١) الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا ، وقد بسطنا هذا فى مواضع وبينا أن ما يذكرونه من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو جهل وضلال تقلده متأخروهم عن متقدميهم وسموا ذلك عقليات وانما هي جهليات ومن طلب منه تحقيق ما قاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع الا الى مجرد تقليدهم فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليدا لمن توهموا أنه عالم بالعقليات ، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون معه حيث قال الله تعالى : « فاستخف قومه فأطاعوه » (٢) ، وقال تعالى عنه : « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين » (٣) . وفرعون هو امام النفاة ولهذا صرح محقق النفاة بأنهم على قوله كما صرح به الاتحادية من الجهمية النفاة (٤) اذ هو الذى أنكر العلو وكذب موسي فيه وأنكر تكليم الله لموسى . قال تعالى : «وقال فرعون ياهامان

---

(١) فى الاصل العقل والتصحيح من ط .

(٢) الزخرف : ٥٤ .

(٣) القصص : ٣ ـ ٤٢ .

(٤) شرح الطحاوية : ٣٢١ ، الرد على الزنادقة والجهمية : ٨٧ . كتاب الرد على الجهمية : ٣٢٥ ، شرح حديث النزول : ١٠٥

ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا » (١) · والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه أنكر الصانع بلسانه فقال : « وما رب العالمين » (٢) وطلب أن يصعد ليطلع الى اله موسى فلو لم يكن موسى أخبره أن الهه فوق لم يقصد ذلك فانه هو لم يكن مقرا به فاذا لم يخبره موسى به لم يكن اثبات العلو لا منه ولا من موسى عليه السلام فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ما قصده من التلبيس على قومه بأنه صعد الى اله موسى السماء (٣) ولكان صعوده اليه كنزوله الى الآبار والأنهار وكان ذلك أهون عليه فلا يحتاج الى تكلف الصرح ، ونبينا عليه السلام لما عرج به ليلة الاسراء ووجد فى السماء الأولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف ثم فى الرابعة ادريس ثم فى الخامسة هارون ثم وجد موسى وابراهيم ثم عرج الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة ثم رجع الى موسى فقال له : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك · قال : فرجعت الى ربي فسألته التخفيف لأمتي · وذكر أنه رجع الى موسى ثم رجع الى ربه مرارا (٤) ، فصدق موسى فى أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى فى ذلك ، والجهمية النفاة موافقون

---

(١) غافر : ٣٦ ، ٣٧

(٢) الشعراء : ٥٣

(٣) ساقطة من ط ·

(٤) البخارى : ٢٠٣/٨ ـ ٢٠٥ ، مسلم : ١٤٧/١ ـ ١١٩ ، سنن النسائى ١٨١/١ ، السنن الكبرى : ١٦٠/١

لآل فرعون أئمة الضلال ، وأهل السنة والاثبات موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى ، وقال تعالى : « ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (١) · وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ·

الوجه الثاني فى تبيين وجوب الاقرار بالاثبات والعلو لله على السموات : (٢) أن يقال : من المعلوم أن الله أكمل الدين وأتم النعم وأن الله انزل الكتاب تبياناً لكل شيء وأن معرفة ما يستحقه الله وما ينزه عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله ، وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفصله ولم يعلم أمته ما يقولون فى هذا الباب وكيف يكون الدين قد كمل وقد تركوا على الطريقة البيضاء وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم أبما يقوله النفاة أو بأقوال أهل الاثبات ·

الوجه الثالث : أن يقال : كل من فيه أدنى محبة للعلم أو أدنى محبة للعبادة لابد أن يخطر بقلبه هذا الباب ويقصد فيه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب ، فلا يتصور أن يكون

---

(١) الانبياء : ٧٢ ، ٧٣ ·

(٢) فى ط : وعلو الله على السموات ·

الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يسألون عنه ولا يشتاقون الى معرفته ولا تطلب قلوبهم الحق فيه (١) وهم ليلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم اليه سبحانه ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم بهذا ومعرفة الحق فيه وهي مشتاقة اليه أكثر من شوقها الى كثير من الأمور ومع الارادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد وهم قادرون على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وسؤال بعضهم بعضا وقد سألوا عما دون هذا . سألوه : أنرى ربنا يوم القيامة ؟ فأجابهم . وسأله أبو رزين (٢) : أيضحك الرب ؟ فقال : نعم . فقال : « لن نعدم من رب يضحك خيرا » (٣) . ثم انهم لما سألوا عن

---

(١) كلمة فيه ساقطة من ط .

(٢) « لقيط بن عامر بن المنتفق العقيلي له وفادة وهو أبورزين » تجريد اسماء الصحابة للذهبي ص ٢/٣٩ح .

(٣) رواه الامام أحمد فى مسنده ٤٠/١١ ـ ١٢ . وابن ماجة برقم ١٨١ والاجرى فى الشريعة . ص ٢٨٠ . والخطيب البغدادى، كنز العمال ٢١١/١ وفى اسناده وكيع بن حدس وثقه ابن حبان وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب عنه مقبول . وقال يحيى بن سعيد لقطان .. مجهول وكذا ابن قتيبة وقال الذهبى لا يعرف . أنظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ١٣١/١١ . وميزان الاعتدال للذهبى ٣٣٥/٤ ـ وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٦٩ .

لقد ثبت هذا الوصف لله تعالى فى عدة أحاديث ثابتة منها « حديث أبى هريرة مرفوعا : يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الاخر » . رواه البخارى ٣٩/٦ وغيره . والاحاديث التى فيها وصف الله تعالى بالضحك بلغت سبعة وقد ساقها كلها بأسانيدها أبو سعيد الدارمى فى نقضه على بشر المريسى » ص ٥٣٠ ضمن كتاب اعتقاد السلف .

الرؤية قال : « سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر »(١) فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي والنفاة لا يقولون يرى بحال ومن قال يرى موافقة لأهل الاثبات ومنافقة لهم فسروا الرؤية بمزيد علم فلايكون كرؤية الشمس والقمر ، والمقصود هنا أنهم لابد أن يسألوه عن ربهم الذى يعبدونه واذا سألوه فلا بد أن يجيبهم ومن المعلوم بالاضطرار أن ماتقوله الجهمية النفاة لم ينقل عن أحد من اهل التبليغ عنه وانما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الاثبات ·

الوجه الرابع : أن يقال اما أن يكون الله يحب منا أن نعتقد قول النفاة أو نعتقد قول أهل الاثبات أولا نعتقد واحدا منهما فان كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة وهو أنه لاداخل العالم ولا خارجه ، وأن ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعرج به الى

---

(١) المعروف لدى العلماء ان هذا الحديث قد رواه‌جرير بن‌عبدالله البجلى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه : سترون ربكم كما ترون هذا القمر ··· » رواه البخارى التوحيد ٤١٩/١٣ فتح البارى وابو داود فى باب السنة ٣٢٢/٤ تحقيق محى الدين عبد الحميد · والترمذى ٢٦٦/٧ تحفه الاحوذى بشرح الترمذى · واحمد ١٦/٣ المسند والطبرانى فى الكبير فى مسند جرير ٣٣١/٢ · والحميدى فى مسنده ٣٥٠/٢ · وعند هؤلاء جميعا لم يرد ذكر كلمة الشمس · ولكن جاء ذكرها فى حديث أبى هريرة « روى الدارمى فى سننه من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ : هل تمارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله · قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا · قال : فانكم ترونه كذلك » · ٣٢٦/٢ ·

الله ، وانما عرج الى السموات فقط لا الى الله وان الملائكة لا تعرج الى الله بل الى ملكوته وان الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ٠٠ وأمثال ذلك وان كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها اجمال وابهام وايهام (١) كقولهم ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو فى جهة ولا مكان وأمثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الـــرب تعالى عن النقائض ومقصودهم (٢) بها أن ليس فـــوق السموات رب ولا على العرش اله يعبد ولا عرج بالرسول الى الله ٠ والمقصود ان كان (الذي) (٣) يحبه الله لنا أن نعتقد هذا النفي ، فالصحابة والتابعون أفضل منا فقـــد كانوا (٤) يعتقدون هذا النفى والرسول صلى الله عـــليه وسلم كان يعتقده واذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو اما واجب علينا أو مستحب لنا فلابد أن يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واجب علينا ويندبنا الى ما هـــو مستحب لنا ولابد أن يظهر عنه وعن المؤمنين ما فيه اثبـات لمحبوب الله ومرضيه وما يقرب اليه لاسيما معقوله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » (٥) ٠

---

(١) مزيدة من ط ٠

(٢) فى ط : ومقصدهم ٠

(٣) مزيدة من ط ٠

(٤) مزيدة من ط ٠

(٥) سورة المائدة اية ٣ ٠

لاسيما والجهمية (١) تجعل هذا أصل الدين وهو عندهم التوحيد الذى لا يخالفه الا شقي فكيف لا يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته التوحيد ؟ وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين ؟ والمعتزلة والفلاسفة ومن اتبعهم يسمون مذهب النفاة التوحيد ·وقد سمى صاحب المرشدة (٢) أصحابه الموحدين اذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد واذا كان كذلك كان من المعلوم أنه لابد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علم بالاضطرار أن الرسول وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب بل علم انه ليس من التوحيد الذى شرعه الله تعالى لعباده وان كان يحب منا مذهب الاثبات وهو الذى أمرنا به فلابد ايضا أن يبين ذلك لنا ، ومعلوم أن فى الكتاب والسنة من اثبات العلو والصفات أعظم مما فيها من اثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع ·· فعلى قول أهل الاثبات يكون الدين كاملا والرسول مبلغا مبينا والتوحيد عن السلف مشهورا معروفا والكتاب والسنة

---

(١) اصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة يقولون بنفى الصفات وبخلق القرآن وان علم الله محدث وغير ذلك من الامور الباطلة انظر الملل والنحل للشهرستانى ١/٨٦ ·

(٢) هو ابن تومرت صاحب دولة الموحدين بالمغرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى شرح العقيدة الاصفهانية : « ولما كان أبو عبد الله محمد ابن التومرت على مذهب المعتزلة فى نفى الصفات لقب أصحابه بالموحدين وقد صرح فى كتابه الكبير بنفى الصفات ولهذا لم يذكر فى « مرشدته » شيئا من الصفات الثبوتية » ص ٢٣ ط دار الكتب الحديثة بمصر ·

يصدق بعضه بعضا والسلف خير هذه الأمة وطريقهم أفضل الطرق (١) والقرآن كله (٢) حق ليس فيه اضلال ولا دل على كفر ومحال (٣) بل هو الشفاء والهدى والنور ، وهذه كلها لوازم ملتزمة ، ونتائج مقبولة فقولهم مؤتلف غير مختلف ومقبول غير مردود وان كان الذى يحبه الله تعالى منا أن لا نثبت ولا ننفي بل نبقى فى الجهل البسيط وفى ظلمات بعضها فوق بعض لا نعرف الحق من الباطل ، ولا الهدى من الضلال ، ولا الصدق من الكذب ، بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكين الحيارى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا مصدقين ولا مكذبين لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم (وعدم العلم بما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الصفات التامات) (٤) • وعدم العلم بالحق من الباطل ويحب منا الحيرة والشك • ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال ، وانما

---

(١) وقد ألف الحافظ ابن رجب الحنبلى جزءا لطيفا فى هذا الموضوع اسمه « فضل علم السلف على الخلف » وقد طبع تحت اشراف الشيخ محمد منير الدمشقى رحمه الله عام ١٣٤٧ هـ •

(٢) مزيدة من ط •

(٣) وقد وقفت على عبارة شنيعة قبيحة للصاوى ذكرها فى شرحه لتفسير الجلالين عند قوله تعالى « ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله » • فكان مما قاله معلقا : «لأن الاخذ بظواهر القرآن والسنة من أصول الكفر » • انظر كتابه : حاشية الصاوى على الجلالين ج ١٠/٣ ط الاستقامة سنة ١٣٥٨ هـ •

(٤) مزيدة من ط •

يحب الدين والعلم واليقين ، وقد ذم الحيرة بقوله تعالى :
« قل أندعوا من دون الله ما لاينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى : ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون) (١) . وقد أمرنا الله تعالى أن نقول : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) .

وفى صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي ، يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلفت فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم . » (٣)

فهو صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى فى مسائل الخلاف وقد قال الله تعالى له : (وقل ربى زدني علما) (٤) وما يذكره بعض الناس عنه من انه قال : « زدني فيك تحيرا » كذب باتفاق أهل العلم بحديثه صلى اللهعليهوسلم

---

(١) سورة الانعام آية ٧١

(٢) الفاتحة آية

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : ٥٧/٦ ورواه بن ماجه أيضا برقم ١٣٥٧ .

(٤) سورة طه آية ١١٤ .

بل هذا سؤال من هو حائر · وقد سأل المزيد من الحيرة · ولا يجوز لاحد أن يدعو بمزيد من الحيرة اذا كان حائرا بل يسأل الهدى والعلم (١) ، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلالة وانما ينقل مثل هذا عن بعض الذين لا يقتدى بهم فى مثل هذا ان صح النقل عنه ·

وقول هؤلاء الواقفة (٢) الذين لا يثبتون ولا ينفون وينكرون الجزم بأحد القولين يلزم عليه أمور أحدها:ان من قال هذا فعليه أن ينكر على النفاة فانهم ابتدعوا ألفاظا ومعانى لا أصل لها فى الكتاب ولا السنة ، وأما المثبتة اذا اقتصروا على النصوص فليس له الانكار عليهم ، وهؤلاء

---

(١) وقد دندن طائفة من المتصوفة حول هذا :

قال الشبلى : « من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار اليه فهو ثنوى ومن أومأ اليه فهو عابد وثن ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل » ·

وقال الجنيد : «اذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت الى الحيرة»
وقال ابن عطاء : « علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد » ·

وهذه النصوص نقلها الاستاذ فهر الشقفة فى كتابه « التصوف بين الحق والخلق » وذكر أنه نقلها من « الرسالة القشيرية » أنظر كتاب « التصوف بين الحق والخلق » ص ٥٣ ـ ٥٤ ·

(٢) الواقفة : أطلقت هذه الكلمة على الذين توقفوا عن القول فى القرآن فقالوا : لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ·

الواقفة هم فى الباطن يوافقون النفاة أو يقرونهم ، وانمـــا يعارضون المثبتة فعلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادوا أهـــل السـنة ٠

الثاني : أن يقال عدم العلم بمعاني القرآن والحديثليس مما يحبه الله ورسوله فهذا القول باطل ٠

الثالث : أن يقال الشك والحيرة ليست محمـودة فـي نفسها باتفاق المسلمين غاية ما فى الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفى ولا الاثبات يسكت فأما من علم الحـــق بدليله الموافق لبيان رسوله فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكـر على هذا العالم الجازم المستبصر المتبع للرسول العـــالم بالمنقول والمعقول ٠

الرابع : أن يقال السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة وقالوا بالاثبات وأفصحوا به وكلامهم فى الاثبات والانكـار على النفاة أكثر من أن يمكن اثباته فى هذا المكان وكـــلام الائمـــة المشـــاهير مثل مـــالك (١) والثوري (٢)

---

(١) « مالك بن أنس الأصبحى المدنى الفقيه امام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المثبتين ، مات سنة عشر ومائة وروى له الجماعة » تقريب التهذيب ص ٣٠١ ٠

(٢) سفيان بن سعيد الثورى ابو عبد الله الكوفى أحد الأئمة الاعلام قال شعبة وغير واحد : سفيان أمير المؤمنين فى الحديث قال ابن المبارك : ما كتبت عن أفضل من سفيان مات سنة سبع وتسعين ومائة ٠ طبقـــات الحفاظ للسيوطى ص ٨٩ ٠

والاوزاعي (١) وأبي حنيفـــــة (٢) وحمـــــاد بن زيد (٣) وحمـــــــاد بن سلمــــــــة (٤) وعبد الرحمـــــــــن بن مهـــــدي (٥) ووكـــــيع بن الجـــــــراح (٦)

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى ابو عمرو الفقيه ثقة جليل امـــام اهل الشام وعلامة عصره ، مات سنة سبع وخمسين ومائة . أنظـــــر التقريب ص ٢٠٧ .

(٢) « النعمان ابن ثابت فقيه اهل العراق وامام اصحاب الراى . قال ابن المبارك : ما رأيت فى الفقه مثله . وقال الشافعى : الناس فى الفقه عيال على ابى حنيفة ، مات سنة خمسين ومائة « طبقات الحفاظ ، ص ٧٣ .

(٣) ابو اسماعيل البصرى الازدى الجهضمى كان ضريرا وكان يحفـــظ حديثه كله قال ابن مهدى : ائمة الناس فى زمانهم اربعة وذكر حماد منهم مات سنة تسع وسبعين ومائة « طبقات الحفاظ ، ص ٩٧

(٤) « ابو سلمة بن دينار البصرى قال ابن معين : اذا رأيت الرجل يقع فى عكرمة وفى حماد بن سلمة فاتهمه على الاسلام ، تزوج سبعين امراة فلم يولد له ، مات سنة سبع وتسعين ومائة « المرجع السابق ص ٨٩ .

(٥) « ابو سعيد البصرى اللؤلؤى الحافظ . قال ابن المدينى : كان اعلـم الناس . وقال ابو حاتم : هو امام ثقة اثبت من يحيى بن سعيد واتقن من وكيع . مات سنة ثمان وتسعين ومائة « طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٣٨ انظر تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١٩٩ .

(٦) « وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الكوفى الحافظ . قال احمد : ما رايت ادعى للعلم منه ولا احفظ . وقال ابن معين : ما رايت أفضل منه مات سنة ست وتسعين ومائة « طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٢٧ .

والشافعي (١) وأحمد بن حنبل (٢) واسحاق بن راهويه(٣) وأبي عبيد (٤) وأئمة أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد موجود وكثير لا يحصيه أحد وجواب مالك فى ذلك صريح فى الاثبات (فان السائل قال له يا أبا عبد اللـــــه

---

(١) « محمد بن ادريس الشافعى المطلبى القرشى امام الائمة وقدوة الامة واعتبره الامام احمد مجدد المئة الثانية ٠ قال ابن مهدى : ما اصـلى صلاة الا وأنا أدعو للشافعى فيها ٠ مات سنة اربع ومائتين » ٠ طبقـات الحفاظ ص ١٥٣ ، أنظر تاريخ بغداد ٥٦/٢٠ وحلية الأوليـاء ٦٣/٩ ٠ ومناقب الشافعى لابن أبى حاتم ، وكذلك مناقبه للبيقهى ٠

(٢) بن هلال الشيبانى أبو عبد الله الامام الشهير كان من كبار حفـــاظ الائمة ومن احبار هذه الامة ٠ قال عبد الرازق : مارايت أورع ولاافقه من احمد قال هلال بن العلاء الرقى : من الله على هذه الامة باربعة فـــى زمانهم : بأحمد بن حنبل ثبت فى المحنة ولولا ذلك لكفر الناس ، مات سنة احدى وأربعين ومائتين » ٠ طبقات الحفاظ ص ١٨٦ ، انظر تاريـخ بغداد ٤١٢/٤ ، والحلية ١٦١/٩ ، ومناقب الامام أحمد لابن الجــوزى وغيرها من المصادر ٠

(٣) ابن مخلد الحنظلى أبو يعقوب المرزوى أحد أئمة المسلمين وعلمـــاء الدين اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع ٠ قال أحمـد : « لا أعلم لاسحاق بالعراق نظيرا ٠ قال ابن خزيمة : لو أن اسحاق كان فى التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه ، مات سنة ثمان وثلاثيـــن ومائتين » ٠ طبقات الحفاظ ص ١٨٨ ٠

(٤) « القاسم بن سلام البغدادى القاضى أحد الاعـــــلام ٠ قال ابن راهويه : أبو عبيد أوسعنا علما واكثرنا ادبا واكثرنا جمعا انا نحتاج الى أبى عبيد ، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومئتين » طبقات الحفـاظ ص ١٨٠ ، انظر تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ، وطبقات الحنابلة ٢٥٩/١ ٠

« الرحمن على العرش استوى » كيف اســتوى ؟) (١)٠
فقال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول وفى لفـــظ
استوائه معلوم أو معقول والكيف غير معقول والايمان بـه
واجب والسؤال عنه بدعة (٢)٠ فقد أخبر رضي الله عنهبأن
نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة وهـــذا
بعينه قول أهل الاثبات وأما النفاة فما يثبتون استــــواء
حتى تجهل كيفيته بل عند هذا القائل الشاك وأمثالـــه أن
الاستواء مجهول غير معلوم واذا كان الاستواء مجهـــولا
لم يحتج أن يقال الكيف مجهول لا سيما اذا كان الاستواء
منتفيا ، فالمنتفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال هي مجهولة
أو معلومة وكلام مالك صريح فى اثبات الاستواء وانه معلوم
وان له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحـــن
ولهذا بدع السائل الذى سأله عن هذه الكيفية فان السؤال
انما يكون عن أمر معلوم لنا ونحن لا نعلم كيفية اســتوائه
وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكـــون تلك الكيفـية
معلومة لنا يبين ذلك ان المالكية وغير المالكية نقلوا عـــن
مالك أنه قال : « الله فى السماء وعلمه فى كل مكان » (٣)

---

(١) مزيدة من ط٠

(٢) رواه الامام اللالكائى فى « شرح أصول السـنن » ق ٠٢/٠٢ ورواه البيهقى بسند جيد ٠ كما قال الحافظ فى فتح البارى ٤٠٧/١٣ أنظـــر « الاسماء والصفات للبيهقى » ص ٢٩١ ٠ ورواه الدارمى فى الرد علـــى الجهمية ص ٢٨٠ ضمن كتاب « عقائد السلف » ٠ ورواه أبو نعيم فـــى الحلية عند ترجمة الامام مالك رحمه الله ٣٢٦/٦٠ وذكره الذهبى فـــى كتابه « العلو » ص ١٠٤ ٠

ورواه الامام ابوعثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى فى رسالته « عقيدة أهل الحديث » ص ١٨ ٠

(٣)رواه أبو داود فى مسائله للامــام احمد رحمـــه الله بزيــادة : ولا يخلو من علمه على مكان ص ١٠٥ ٠ وذكره الذهبى فى العلو ص ١٠٣

حتى ذكر ذلك مكي خطيب (١) قرطبة فى كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك ونقله أبو عمر الطلمنكي (٢) وأبو عمر بن عبد البر (٣) وابن أبي زيد (٥) في المختصر وغير واحد ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم

---

(١) مزيدة من ط ٠

(٢) الحافظ المقرىء أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافرى الطلمنكى الاندلسى عالم أهل قرطبة ، كان راسا فى علم القرآن حروفه واعرابه وناسخه ومنسوخه ومعانيه وأحكامه ذا عناية تامة بالحديث ومعرفة الرجال حافظا للسنن سيفا مجردا على أهل الاهواء والبدع مات سنة تسغ وعشرين وأربعمائة » طبقات الحفاظ ص ٤٢٣

(٣) يوسف بن عبد البر النمرى أبو عمر القرطبى الاندلسى توفى سنة ثلاث وستين واربعمائة طلب الحديث وساد أهل زمانه بالحفظ والاتقان ، قال أبو الوليد الباجى : « لم يكن بالاندلس مثله فى الحديث وكان أولا ظاهريا ثم صار مالكيا وهو كثير الميل الى أقوال الامام الشافعى » طبقات الفاظ ص ٤٣٢ شذرات الذهب ٣/٣١٤ الصلة ٢/٦٧٧ وفيات الاعيان ٢/٣٤٨ ٠

(٤) الامام أبو محمد بن أبى زيد شيخ المالكية وكان من العلماء العالمين بالمغرب وكان يلقب بمالك الصغير وكان غاية فى علم الاصول . توفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، العلو ص ١٧٢

مثل أحمد بن حنبـــل وابنــه عبــد الله (١) والأثرم (٢) والخلال (٣) والآجري (٤) وابن بطة (٥) وطـــوائف غير

---

(١) أبو عبد الرحمن البغدادى قال أبو زرعة قال لى أحمد : « ابنـــى عبد الله محظوظ من علم الحديث » وقال ابن عدى أحيا علم أبيه ولميكتب عن أحد الا عمن أمره أبوه ان يكتب عنه وقال الخطيب : « كـان ثقــة ثبتا فهما ، مات سنة تسعين ومائتين » طبقات الحفاظ ص ٢٨٨ ،تاريخ بغداد ٩/٣٧٥ طبقات الحنابلة ١/١٨٠ .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد هانىء الاثرم الطائى البغدادى الفقيه الحافظ صاحب أحمد قال ابراهيم الاصبهانى : كان أحفظ من أبى زرعة الرازى وأتقن ، قال ابن حبان : وكان من خيار عباد الله » طبقات الحفـاظ ص ٢٥٦ ، طبقات الحنابلة ١/٦٦ تاريخ بغداد ٥/١١٠ .

(٣) الفقيه العلامة المحدث أبو بكر بن محمد بن هارون البغدادى الحنبلى مؤلف علم أحمد وجامعه ومرتبه صنف « السنة » والعلل والجامع مـات سنة سنة احدى عشرة وثلاثمائة » طبقات الحفاظ ص٢٢٩ الحنابلة ٢/١٢ شذرات الذهب ٢/٢٦١ .

(٤) الامام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين صاحب كتـــاب « الشريعة كان عالما عاملا صاحب سنة دينا ثقة مات ســـنة ستيـــن وثلاثمائة .. طبقات الحفاظ ص ٣٧٨ طبقات الشافعية ٣/١٤٩ .

(٥) الامام الجليل والعابد النبيل امام الحنابلة فى زمنه الداعــى الـــى مذهب السلف باقواله وأفعاله وكان صالحا ومستجاب الدعوة أمـــارا بالمعروف لم يبلغه خبر منكر الا غيره له كتاب « الابانة الكبرى » واقــوم بتحقيق المجلد الاول منه وله « الشرح والابانة » وقد حققته وله ما يزيـد على مائة مصنف توفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة » طبقات الحنـابلة ٢/١٤٦ تاريخ بغداد ١٠/١٧٢ ، المنتظم لابن الجوزى ٧/١٩٤ ، الشذرات ٣/١٢٢ ، الكامل ٩/١٣٧ ، مناقب أحمد ص ٥١٧ ، الاكمال ١/١٣٠ ،يزان الاعتدال ٣/١٥ ، تاريخ دمشق (١٠/٣٦٨) لســـان الميزان ٤/١١٤ ، البداية والنهاية ١١/٣٣٢ ، العبر ٣/٣٥ ، اللباب ٢/٣٥١ .

هؤلاء من المصنفين فى السنة ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم يقل هذا الاثبات · والقول الذى قاله مالك قـاله ربيعة (١) بن أبي عبد الرحمن شيخه كما رواه عنه سفيان ابن عيينة (٢) · وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمى الماجشون (٣) كلاما طويلا يقرر مذهب الاثبات ويرد عـلي النفاة قد ذكرناه فى غير هذا الموضع · وكلام المالكية فى ذم الجهمية النفاة مشهور فى كتبهم وكلام أئمة المالكيةوقدمائهم فى الاثبات كثير مشهور حتى أن (٤) علماءهم حكـــــوا اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه ، وابن أبي زيد انما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ولم يكن

---

(٢) واسمه فروخ المدنى المعروف بربيعة الرأى مولى آل المنكـــدر قـال عبدالعزيز بن أبى سلمة : « ما رأيت أحفظ للسنة من ربيعة وهو شـــيخ مالك قال فيه : « ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة مات سنة ست وثلاثين ومائة » تاريخ بغداد ٨ / ٤٢٠ ، ميزان الاعتـدال ٢/٤٤ ، طبقـــات الحفاظ ص ٦٨ ·

(٢) بن أبى عمران الهلالى الكوفى أحد أئمة الاسلام قال بن المدينى : « ما فى أصحاب الزهرى اتقن من ابن عيينة ، وقال الشافعى : « لو لا مالـــك وسفيان لذهب علم الحجاز » مات بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة » تاريـخ بغداد ٩/١٧٤ حلية الاولياء ٧/٢٧٠ طبقات الحفاظ ص ١١٣ ·

(٣) التيمى المدنى أحد الاعلام قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحـديث وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة مات سنة أربع وستين ومـائة »· تاريخ بغداد ١٠/٤٣٦ · طبقات الحفاظ ص ٩٤ والماجشون : بفتح الميـم وكسر الجيم وضم الشين المعجمة وهو الورد ، ويقال الابيض الاحمر ·· وفيات الاعيان ١/٢٨٧ ·

(٤) ساقطة من ط ·

من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد فى هذا وهو انما ذكر هذا فى مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لانه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد ولم يرد على ابن أبي زيد فى هذا الا من كان من أتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله انما قاله مخالف للعقل ، وقالوا ان ابن أبي زيد لم يكن (١) يحسن فن الكلام الذى يعرف فيه ما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الانكار عن متأخرى الأشعرية كأبي المعالي(٢)واتباعه وهؤلاء تلقوا هذا الانكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الانكار وسلف الأمة وائمتها متفقون على الاثبات رادون على الواقفة والنفاة مثل ما رواه البيهقي (٣) وغيره عن الأوزاعي قال : كنا

---

(١) مزيدة من ط ٠

(٢) الامام ابو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى الشافعى توفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من بحور العلم فى الاصول والفروع يتوقد ذكاء » العلو ص ١٨٨ ٠

(٣) الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين شيخ خراسان صاحب التصانيف لزم الحاكم وتخرج به كتب الحديث وحفظه من صباه وعمل كتبا لم يسبق اليها « كالسنن الكبرى » و « شعب الايمان » و « الاسماء والصفات » و « الخلافيات » وغيرها وبورك له فى علمه لحسن قصده مات سنة ثمان وخمسين واربعمائة ٠٠ طبقات الحفاظ ص ٤٣٤ شذرات الذهب ٣/٣٠٤ طبقات الشافعية ٤/٨ ٠

والتابعون متوافرون نقول : ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته (١) · وقال أبو مطيع البلخـــي فى كتاب الفقه الأكبر المشهور : سألت أبا حنيفة عن مـــن يقول لا أعرف ربي فى السماء أو فى الأرض قال : قد كفر لان الله عز وجل يقول : (الرحمن على العرش استوى)(٢) وعرشه فوق سبع سموات (٣) فقلت : انه يقـــول : عـــلى العرش استوى ولكن لا يدري العرش فى السماء أو فـــي الأرض فقال : اذا أنكر أنه فى السماء كفر لانه تعالى فـــي أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ·

وقال عبد الله بن نافع : كان مالك بن أنس يقول : الله فى السماء ، وعلمه فى كل مكان · وقال معدان : ســـألت سفيان الثوري عنقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) (٤)

---

(١) قال الحافظ ابن حجر أخرجه البيهقى بسند جيد « فتح البـــارى ٤٠٦/١٢ ، وصحح هذه الرواية الذهبيفى تذكرة الحفاظ ص ١٨١ ·وذكرها فى كتابه العلو ص ١٠٢ ، أنظر اسنادهـــا فى كتـــاب « الاسمـــاء والصفات » للبيهقى طبعة الهند ص ٢٩١ ·

(٢) سورة طه آية ٥ ·

(٣) قال الذهبى : بلغنا عن أبى المطيع الحكم بن عبد الله البلخى صاحب الفقه الاكبر ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعـــرف ربى فى السماء أو فى الارض فقال : قد كفر لان الله تعالى يقول : (الرحمـــن على العرش استوى)وعرشه فوق سمواته ، قال الذهبى : رواهـــا صاحب الفاروق · أنظر العلو للذهبى ص ١٠١ ·

(٤) سورة الحديد آية ٤ ·

قال : علمه (١) ٠

وقال : حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجـــه رواه ابن أبي حاتم (٢) والبخاري (٣) وعبـد الله بن أحمـــد وغيرهم : انما يدور (كلام) الجهمية على أن يقولوا ليس فى السماء شيء (٤) ٠

وقال على بن الحسين بن شقيق (٥) : قلــت لعبد الله بن

---

(١) قال الذهبى : روى غير واحد عن معدان قال : سألت سفـيان ٠٠٠ وذكره ٠٠ ص ١٠٣ كتاب العلو ٠

وذكره البخارى فى « خلق أفعال العباد » معلقا ص ١٢٠ ٠

(٢) عبد الرحمن بن الحافظ محمد بن ادريس بن المنذر التميمى الحنظلى الحافظ الناقل قال الخليلى : أخذ علم أبيه وأبى زرعة وكان بحـــرا فى العلوم ومعرفة الرجال ثقة حافظا زاهدا له (الجـــرح والتعـــديل) و « التفسير » و « الرد على الجهمية » مات ســـنة ســـبع وعشرين وثلاثمائة ٠ طبقات الحنابلة ٢/٥٥ طبقات الحفاظ ٣٤٥ ٠

(٣) محمد بن اسماعيل الحافظ العلم امام الحديث المعول على صحيحـه فى البلدان وقد أخرج صحيحه من زهاء ستمائة ألف حديث وهو أحـــد حفاظ الدنيا وله « التاريخ الكبير » و « الادب المفرد » مات سنة ســـت وخمسين ومائتين » طبقات الحفاظ ص ٢٤٨ تاريخ بغداد ٢/٤ ٠

(٤) رواه عبد الله بن الامام أحمد فى السنة ص ١٠

ورواه ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية » كمـــا فى كتـــاب « العلو » للذهبى ص ١٠٧

(٥) العبدى أبو عبد الرحمن المرزوى روى عن ابراهيم بن سعدو ابـــن عيينة وطائفة وروى عنه البخارى وأحمد مات سنة خمس عشرة ومائتين طبقات الحفاظ ص ١٥٨ ، شذرات الذهب ٢/٣٥ ٠

المبارك (١) : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواتـه على عرشه بائن من خلقه (٢) · وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه وهو أيضا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغير واحد من الأئمة ·

وقال رجل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية · قال : لاتخـف فانهم يزعمون ان الهك الذى فى السماء ليس بشيء · · وقال جرير بن عبد الحميد (٣) : كلام الجهمية أوله عسل(٤) وآخره سم وانما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء الـه»

---

(١) بن واضح الحنظلى أبو عبد الرحمن المرزوى أحد الائمة الاعـلام قال ابن مهدى : الائمة أربعة ذكر منهم ابن المبارك · قال أحمد : لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا مـات منصرفا عن الغزو سنة احدى وثمانين ومائة ، طبقات الحفاظ ص ١١٧ تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ الحلية ٨/١٦٢ ·

(٢) رواه البخارى فى خلق أفعال العباد ص ١٢٠ والدارمى فى نقضـه على المريسى ص ٤٦١ وعبد الله بن الامام أحمد فى السـنة ص ٥ والذهبى فى العلو ص ١١٠

وفى ط زيادة : قلت بجد ؟ قال بجد لا يعلمه غيره ·

(٣) بن قرط الضبى أبو عبد الله الرازى وكان ثقة كثير العلم يرحل اليه روى عن الاعمش والثورى وعطاء بن السائب وروى عن سليمانبن حرب وابن المدينى وابو بكر بن شيبة ،مات سنة ثمان وثمانين ومائة ، طبقات الحفاظ ص ١١٦ تاريخ بغداد ٧/٢٥٣ ميزان الاعتدال ١/٣٩٤ ·

(٤) فى ط : شهـد ·

رواه ابن أبي حاتم (١) وروى هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال : ان الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله عز وجل كلم موسى بن عمران (٢) وأن يكون على العرش · أرى أن يستتابوا فان تابوا والا ضربت أعناقهم » (٣) وقال يزيد بن هارون (٤) : من زعم ان الله على العرش استوى على خلاف ما يقر فى قلوب العامة فهو جهمي (٥) ·

وقال سعيد بن عامر الضبعي : وذكر عنده الجهمية فقال : هم أشر قولا من اليهود والنصارى · وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء (٦) ·

---

(١) وقد عزاه الذهبى لابن حاتم فى « العلو » ص ١١٠

(٢) مزيدة من ط ·

(٣) قال الذهبى : نقل غير واحد باسناد صحيح عن عبد الرحمن بن مهدى وذكره · · المرجع السابق ص ١١٨ ·

(٤) بن زاذان الواسطى السلمى أبو خالد قال احمد : كان حافظا متقنا صحيح الحديث ، وقال ابن المدينى : « ما رأيت رجلا قط احفظ منه مات سنة ست ومائتين » طبقات الحفاظ ص ١٣٢ تهذيب التهذيب ٣٦٦/١١

(٥) رواه أبو داود فى مسائله للامام أحمد ص ١٠٩ ورواه عبد الله بن الامام أحمد فى السنة ص ١٢ ·

والمراد هنا : ما يقر فى قلوب العامة من التسليم لله سبحانه وتعالى لان قلوبهم غالبا ما تكون بعيدة عن الشبه والشكوك التى تؤدى الى نقص هذا التسليم أو تكديره · قال الذهبى فى كتابه العلو : ص ١٨٨

« معنى قول بعض الائمة : عليكم بدين العجائز · يعنى انهن مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام » ·

(٦) ذكره البخارى فى خلق أفعال العباد ص ١٢٠ والذهبى فى العلو ص ١١٧ ·

وقال عباد (١) بن العوام الواسطي : كلمت بشـــرا (٢) المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي الى أن يقولوا « ليس فى السماء شيء » (٣) ٠ أرى والله ان لا يناكحـــوا ولا يوارثوا ٠ وهذا كثير في كلامهم ٠ وهكذا ذكر أهـــل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس : مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، كما ذكره أبو الحسن الاشعرى فى كتابه الـــذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين ، فذكر فيـــه أقوال الخوارج والروافض والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثـــم قال : ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم الاقرار بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله ، وما رواه الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا الى أن قال ! وان الله علـــى عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وان لـــه يدين بلا كيف كما قال تعالى : « لما خلقـــت بيدي » ٠ (٤)

---

(١) أبو سهل الكلابى روى عن ابن أبى نجيح وحميد الطويل وطائفـــة وروى عن أحمد وابن منيع وأبو بكر ابن أبى شيبة وآخرون مات سنـــة ثلاث وثمانين ومائة » طبقات الحفاظ ص ١١٢ الخلاصة ١٥٨ ٠

(٢) بشر المريسى من كبار علماء المعتزلة وله مصنفات فى الدعـــــوة الى مذهبهم وقد تعقبه الدارمى فى كتابه الفذ (النقض علـــى بشـــر المريسى) وقد طبع ضمن كتاب عقائد السلف بتحقيق النشار والطالبى٠ وروى الامام احمد باسناده ان ابابشر المريسى كان يهـــوديا قصـــارا صباغا فى سويقة نصر بن مالك » الرد على الزنادقة الجهمية للامـــــام أحمد ص ١١١

(٣) رواه عبد الله بن الامام أحمد فى السنة ص ٦٣ وذكـــره الذهـــبى فى العلو ص ١١٢ ٠

(٤) سورة ص آية ٧٥

فأقروا أن لله علما كما قال « انزله بعلمه » (١) « وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه » (٢) واثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وقالوا : انه لا يكون فى الأرض من خير وشر الا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال : (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) (٣) الى أن قال : ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلـوق ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل « ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فأغفر له) (٤) كما جاء فى الحديث (ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٥) وان الله يقرب من خلقه كيف شاء وكما قال : (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) (٦) ٠

وذكر أشياء كثيرة الى أن قال : فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل (٧) ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وقال الأشعري أيضا فى مسألة الاستواء قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وانه على العرش كما قال « الرحمن على العرش استوى » ولا نتقدم بين يدى الله ورسوله فى القول بل نقول استوى

---

(١) التصويب من ط ٠
(٢) سورة فاطر آية ١١ ٠
(٣) سورة الدهر آية ٢٩ ٠
(٤) تقدم تخريجه ٠
(٥) سورة الفجر آية ٢١ ٠
(٦) سورة ق آية ١٦ ٠
(٧) التصويب من ط

بلا كيف وان له يدين بلا كيف كما قال : « خلقت بيدى » (١)
وان الله ينزل الى السماء الدنيا كما جاء فى الحديث قال
وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى • وقال
الأشعري فى كتابه الا بانه فى أصول الديانة فى باب
الاستواء : ان قال له قائل ما تقولون فى الاستواء قيل
نقول له ان الله مستو على عرشه كما قال « الرحمن على
العرش استوى » وقال : « اليه يصعد الكلم الطيب » (٢)
وقال : « بل رفعه الله اليه » (٣) •وقال عن حكاية فرعون :
« يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب
السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا » (٤) •
كذب فرعون (٥) موسى فى قوله ان الله فوق السمواتوقال
الله عز وجل « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم
الأرض » (٦) فالسموات فوقها العرش وكل ما علا فهو
سماء وليس اذا قال أأمنتم من فى السماء يعني جميع
السموات وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات • •
(ألا ترى أنه) (٧) ذكر السموات فقال : « وجعل القمر
فيهن نورا » (٨) ولم يرد أنه يملؤهن جميعا ورأينا المسلمين
جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله
مستو على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله
على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش • وقد قال قائلون

---

(١) سورة ص آية ٧٥ •
(١) سورة فاطر آية ١٠ •
(٣) سورة النساء آية ١٥٨ •
(٤) سورة غافر آية ٣٦ •
(٥) مزيدة من ط •
(٦) سورة تبارك آية ١٥ •
(٧) التصويب من ط •
(٨) سورة نوح آية ١٥ •

من المعتزلة والجهمية والحرورية(١)ان معنى استوىاستولى وملك وقهر وان الله فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لان الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والأخلية فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال هو مستو على الأشياء كلها ولما لم يجز عند أحد من المسلمين ان يقال ان الله مستو على الأشياء كلها وعلى الحشوش والأخلية بطل أن يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها · وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد من أئمة أصحابه كابن فورك (٢) والحافظ ابن عساكر (٣) فى كتابه الذي جمعه فى « تبين

---

(١) الحرورية هم أصل الخوارج ومنها تشعبت فرقها وهم الذين خرجوا على على ولجاوا الى حروراء وكان زعيمهم ابن الكواء » تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٢٩ ·

(٢) محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الاصبهانى الامام الجليل فقيها وأصولا وكلاما وواعظا رفض الدنيا وراء ظهره روى عنه البيهقى وبلغت مصنفاته قريبا من مائة مصنف مات سنة ست واربعين » ·

أنظر مقدمة كتاب مشكل الحديث بتحقيق وتعليق موسى محمد على·

(٣) الامام الكبير حافظ الشام الثقة الثبت الحجة ثقة الدين على ابن الحسن هبة الله الدمشقى الشافعى صاحب تاريخ دمشق كان من كبار الحفاظ المتقنين ومن أهل الدين والخير ، قال ابن النجار : « هو امام المحدثين فى وقته وبه ختم هذا الشأن ، مات سنة احدى وسبعين وخمسمائة » طبقات الحفاظ ص ٤٧٤ الشذرات ٢٣٩/٤ البداية والنهاية ٢٩٤/١٢ ·

كذب المفتري فيما نسب الى الشيخ أبي الحسن الأشعري (١) وذكر اعتقاده الذي ذكره فى أول الابانة وقوله فيه فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة (٢) والمرجئة (٣) فعرفونا قولكم الذيبه تقولون وديانتكم التى بها تدينون · قيل له : قولنا الذى به نقـول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى وسـنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين

وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليـه أحمدبن حنبل بن نضر الله وجهه قائلون ولما خالف قـوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع بـه

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب وقدم له وعلق عليه الكوثرى ولم تخلالمقدمة والتعليقات كعادته من غمز بعلماء السنة والسخـرية بهم واخضـاع كل ما يؤيد مذهب السلف الى التأويل حتى يتفق مع اشعريته كقوله عن شيخ الاسلام فى هذه المقدمة ما نصه : وتمكن من اجتلاب ثقة شـيوخ العلم الى نفسه وثنائهم عليه وكان واعظا طلق اللسان فاذا هو يجـرى على خطة مدبرة فى احلال المذهب الحشـوى تحت ستار مذهـب السلف » انظر المقدمة ص ١٧ ·

(٢) اعتبرهم ابن الجوزى الاصل الذى انبثقت عنه طوائف الشيعـة· وذكر الشهر ستانى انهم سموا بهذا الاسم لانهم تبرؤا من زيد بن علـى لانه لم يتبرأ من الشيخين فمفضوه فسموه رافضة ·

انظر : تلبيس ابليس ص ٣٢ ، والملل والنحل للشهرستانى ١/١٥٥ ·

(٣) وهم الغلاة فى اثبات الوعد والرجاء والقدر وسموا مرجئة اما لانها مشتقة من الرجاء أو من التاخير · انظر الملل والنحل لابن حزم ٥/٦٤·

بدع المبتدعين وزيغ الزائفين وشك الشـــاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين. وجملة قولنا اذا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وماروواهالثقات عن رسول الله صلىاللهعليه وسلم وذكر ما تقدم وغيره من جمل كثيرة أوردت فى غير هـــذا الموضع . وقال أبو بكر الاجرى فى كتاب الشريعة (١)الذي يذهب اليه أهل العلم أن الله على عرشه فوق سمواته علمـه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق فى السموات العـلا وبجميع ما فى سبع أرضين ترفع اليه أفعال العباد فان قـال قائل أى شيء معنى قوله (ما يكون من نجـــوى ثلاثــــة الا هو رابعهم) (٢) الاية ؟ قيل له : علمه والله على عرشـه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العـــلم والآية يدل أولهـــا وآخرها على انه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلميـن والقول الذى قاله الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد وانه فـوق عرشه المجيد بذاته وهو فى كل مكان (٣) بعلمه فقد تأولـــه بعض المبطلين بأن رفع المجيد ومراده ان الله هـــو المجـــيد بذاته وهذا مع انه جهل واضح فانه بمنزلة أن يقال الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته . وقد قال ابن أبي زيـد فى خطبة الرسالة أيضا : على العرش استوى وعلى الملـك

---

(١) وقد قام بطبع هذا الكتاب وتحقيقه الشيخ حامد الفقى رحمه الله سنة ١٣٦٩ هـ ، راجع هذه الفقرة فى الكتاب ص ٢٩٠ .

(٢) سورة المجادلة آية ٦ .

(٣) ص ٦ مقدمة رسالة ابن أبى زيد .

احتوى ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الائمة المتبوعين ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد فى المختصر(١)بان الله فى سمائه دون أرضه هذا لفظه والذى قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة السنة من جميع الطوائف ٠ وقد ذكر أبو عمر الطلمنكي الامام فى كتابه الذى أسماه « الوصول الى معرفة الاصول » أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه وكذلك ذكره محمد بن عثمان ابن أبي شيبة (٢) حافظ الكوفة فى طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة ٠

وكذلك ذكر يحيى بن عمار السجستاني(٣) الامام فى رسالته المشهورة فى السنة التي كتبها الى ملك بلاده (٤) وكذلك ذكر أبو نصر السجزي (٥) الحافظ فى كتاب

---

(١) مقدمة رسالته ص ٦ من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

(٢) الحافظ البارع محدث الكوفة قال ابن عدى : لم أر له حديثا منكرا وطعن به بعضهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين » طبقات الحفاظ ص ٢٨٨ ، تاريخ بغداد ٤٢/٢ ميزان الاعتدال ٦٤٢/٣ ٠

(٣) الواعظ قال الذهبى : « كان لابن عمار جلالة عجيبة بتلك الديار وكان يعرف الحديث أخذ عن شيخ الاسلام الانصارى مات سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة » العلو ص ١٧٧ ٠

(٤) وقد أشار الذهبى الى هذه الرسالة ونقل بعض فقراتها فى كتابه العلو ٠

المرجع السابق ص ١٧٧ ٠

(٥) هو الحافظ الحجة عبيد الله بن سعيد الوائلى السجزى مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة ٠ وذكر الذهبى فى العلو هذه الفترة من كتابه الابانة ، ص ١٨٠ ٠

« الابانة » له قال : وائمتنا كالثورى ومالك وابـن عيينـة وحماد بن سلمة بن زيد وابن المبارك وفضيل بن عياض (١)

وأحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاتـه وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الاسلام الانصارى (٢) وأبو العباس الطرقي والشيخ الجيلي (٣) ومن لا يحصـى عددهم الا الله من أئمة الاسلام وشيوخه ، وقال الحـافظ أبو نعيم (٤) الاصبهانى صاحب حلية الاولياء وغير ذلـك

---

(١) بن مسعود التميمى أبو على الزاهد أحد العباد قال : ابن سعد كـان ثقة نبيلا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث ، مات سنة سبع وثمـانين ومائة » طبقات الحفاظ ص ١٠٤ ، حلية الاولياء ٨/٨٤ .

(٢) الامام الزاهد أبو اسماعيل عبد الله بن محمد بن على الانصـارى الهروى من ذرية أبى أيوب الانصارى كان اماما متقنا قائما بنصرة السنة ورد المبتدعة ، قال ابن طاهر سمعته يقول : عرضـت على السـيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك ولكن يقال لى اسكت عمـن خالفك فأقول لا أسكت ، مات سنة احـدى وثمـانين واربعمـائة . طبقات الحفاظ ص ٤٤١ .

(٣) هو الشيخ عبد القادر بن أبى صالح الجيلى ـ الجيلانى ـ الحنبلى شيخ العراق له كتابه « الغنية » قال العز بن عبد السـلام : ما نعـرف أحدا كراماته متواترة كالشيخ عبد القادر رحمـه الله ، مات سـنة احدى وستين وخمسمائة » انظر العلو للذهبى ص ١٩٣ ، أنظر كتـاب « الغنية » ص ٥٦ ط الثالثة ٩٣٧٥ هـ .

(٤) الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد المهرانـى الاصبهانى قال الخطيب : « لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحفظ غير أبى نعيم وأبى حازم وله مصنفات جليلة مات سـنة ثلاثين واربعمـائة » طبقات الحفاظ ص ٤٢٣ ، شذرات الذهب ٣/٢٤٥ ميزان الاعتدال ١/١١١

من المصنفات المشهورة فى الاعتقاد الذي جمعه : طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة ٠ قال: ومما اعتقدوه ان الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام وأحدث الاشياء من غير شىء وأن القران كلام الله وكذلك سائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق ، وان القرآن من جميع الجهات مقرءوا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله عز وجل حقيقة لا حكاية ولا ترجمة (١) وانه بالفاظنا كلام الله غير مخلوق ، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية ، وان من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية وان الجهمى عندهم كافر وذكر أشياء الى أن قال : وان

---

(١) لانه لا يصح أن يقال عنه فى كل هذه الاحوال انه غير القرآن فما دام هو القرآن فهو اذن كلام الله ٠ وقد نقل ابن قتيبة اجماع أهل الحديث على ان القرآن كلام الله غير مخلوق وفى كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال » ص ٢٤٥ من كتابه الاختلاف فى اللفظ ضمن مجموعة كتاب « عقائد السلف » لان الكلام انما يضاف الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا » أنظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٥٨ ضمن المجموعة العلمية ٠

ملاحظة : لايعنى السلف بذلك قدم المواد التى كتب فيها ولا الاصوات التى نطقت به ويشهد لذلك قولهم : ان اصواتنا بالقرآن مخلوقة وان المداد الذى كتب به والورق الذى سطر عليه كل ذلك مخلوق ٠٠ الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢/٢٤ ٠

الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه ٠

وذكر سائر اعتقاد السلف واجماعهم على ذلك (١) ٠

وقال يحيى بن عمار (٢) في رسالته : لا نقول كما قالت الجهمية انه مداخل الامكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو بل نقول هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله « أينما كنتم » ٠ وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا العصر : أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين فذكر أشياء في الوصية الى أن قال فيها : وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تمثيل ولا تأويل والاستواء معلوم والكيف مجهول وانه مستو على عرشه بائن من خلقهوالخلق بائنون منه بلا حلول وممازجه ولا ملاصقة وانه عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلي لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل الى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول

---

(١) وقد نقل الذهبي كلام أبي نعيم هذا بكامله في العلو ص ١٧٦ وذكر ان هذا قاله أبو النعيم في كتاب الاعتقاد ٠

(٢) في ط بن عثمان ٠

فهو مبتدع ضال . وقال الامام أبو عثمان اسماعيل (١) بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري فى كتاب الرسالة فى السنة له : ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الامة واعيان سلف الامة لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه وعرشه فوق سمواته (٢) . قال :امامنا أبو عبد الله الشافعي احتج فى كتابه المبسوط فى مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وانه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتاقه اياها فامتحنها ليعرف انها مؤمنة أم لا فقال لها : أين ربك فاشارت الى السماء فقال : اعتقها فانها مؤمنة ، وحكم بايمانها لما أقرت أن ربها فى السماء ، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : باب القول فى الاستواء قال تعالى « الرحمن على العرش استوى » « ثم استوى على العرش » (٣) « وهو القاهر فوق عباده » (٤) « يخافون ربهم من فوقهم » (٥) « اليه يصعد الكلم الطيب » « أأمنتم من فى السماء » واراد من

---

(١) فقيه محدث مفسر خطيب واعظ له مؤلفات هامة منها « ذم الكلام » و « الفاروق فى الصفات » وغيرهما ، مات سنة تسع واربعين وأربعمائة » أنظر مقدمة رسالته عقيدة أصحاب الحديث ص ٧ .

(٢) وقد طبعت رسالة الامام الصابونى بعنوان « عقيدة أهل الحديث »

(٣) النص فيها ص ١٧ . ط الدار السلفية للنشر والتوزيع بالكويت .

(٤) سورة الحديد آية ٣ .

(٥) سورة الانعام آية ١٨ .

(٦) سورة النحل آية ٥٠

فوق السماء كما قال : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » (١) بمعنى على جذوع النخل وقال : « فسيحوا فى الأرض » (٢) بمعنى على الارض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات • فمعني الاية أأمنتم من على العرش كما صرح به فى سائر الآيات قال : وفيما كتبناه من الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته فى كل مكان وقوله « وهو معكم أينما كنتم » انما أراد بعلمه لا بذاته•(٣) وقال أبو عمر ابن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم علىحديث النزول قال : هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم علي المعتزلة قال وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج الى أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوافقهم (٤) عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » هو على العرش وعلمه فى كل مكان وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله•

---

(١) سورة طه آية ١٧ •

(٢) سورة التوبة آية ٢ •

(٣) انظر الى هذه الفقرة فى كتاب « الاسماء والصفات للبيهقى » ص ٢٩٢ •

(٤) فى التدمرية : لم يوقفهم ص ١٤٤ وكذا ط •

(فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف اذ لم ينقل عنهم غـــير ذلك اذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيـــات القرانية والأحاديث النبوية ٠ فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا بمنـــه وكرمه ، انه أرحم الراحمين والحمد لله وحده) (١) ٠

(١) مزيدة من ط ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مصادر التحقيق

الاختلاف فى اللفظ : ابن قتيبة ، ضمن كتاب عقائد السلف
تحقيق : على نشار وعمار الطالبي ، الاسكندرية ١٩٧١ م

الأسرار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة : ملا علي قارى
تحقيق : محمد الصباغ

البداية والنهاية : الجزء الرابع عشر : ابن كثير ، الرياض

تاريخ بغداد : الحافظ البغدادي ، نشر المكتبة السلفية
بالمدينة المنورة

تجريد أسماء الصحابة : الذهبي ، بومباى ١٣٨٩ هـ

تحفة الأحوذي : المباركفورى ، دار الفكر ، دمشق ١٣٩٩

تذكرة الحفاظ : الذهبي ، حيدر أباد ١٣٣٣ هـ

تفسير البغوي على تفسير الخازن ، القاهرة

تفسير الطبرى ، تصوير دار المعرفة بيروت

تفسير الفخر الرازى ، دار الكتب العلمية ، طهران

تفسير القرطبي ، تصوير بيروت

تفسير ابن كثير ، دار الفكر دمشق

تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ، بيروت

تهذيب التهذيب : الحافظ ابن حجر ، تصوير بيروت

التصوف بين الحق والخلق : محمد فهر الشقفة ، الطبعة الثانية

ابن تيمية : محمد خليل الهراس ، القاهرة

جلاء العينين : ابن الألوسي ، بيروت

حياة شيخ الاسلام ابن تيمية : بهجة البيطار

حلية الأولياء : الحافظ أبو نعيم ، دار الفكر

خلق أفعال العباد : البخاري ، تحقيق : علي النشار وعمار الطالبي ، ضمن عقائد السلف ١٩٧١ م

الذيل على طبقات الحنابلة : ابن رجب ، بيروت

الدرر الكامنة : الحافظ ابن حجر ، حيدر أباد ، ١٩٤٥ م

الدرر المنثور : السيوطي ، القاهرة

الرد على الجهمية : الدارمي ، ضمن عقائد السلف

الرد على الزنادقة : الامام أحمد ضمن عقائد السلف

الرد على ألمنطقيين : شيخ الاسلام ابن تيمية ، القاهرة

الرد الـوافر : ابن ناصر الدين الدمشقي ، القاهرة

روح المعانى : الألوسي القاهرة

زاد المسير : ابن الجوزى المكتب الاسلامي بيروت

سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد علي الباقي ١٣٩٥

سنن أبي داود ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٦٩ هـ

سنن الترمذى ، تحقيق ! أحمد شاكر وابراهيم عطـوة ، القاهـرة

سنن النسائي ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ

السنة : الامام أحمد بن حنبل ، ضمن عقائد السلف

شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة بيروت

الشريعة : أبو بكر الآجرى ، تحقيق : حامد الفقى ، القاهرة ١٣٦٩

شرح حديث النزول : شيخ الاسلام ابن تيمية ، المركـز الاسلامي

شرح الطحاوية : للعز الحنفي ، تحقيق : الشيخ ناصرالدين الالباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٩

شرح العقيدة الأصفهانية : شيخ الاسلام ابن تيمية ، القاهرة

صحيح البخارى : الامام البخارى ، مصورة بيروت

صحيح مسلم : الامام مسلم ٠ تحقيق : محمد فؤاد على الباقي ، القاهرة

طبقات الحفاظ : السيوطي ، القاهرة ١٣٩٢ هـ

طبقات الحنابلة : لأبي يعلى ، بيروت

العقود الدرية : ابن عبد الهادى ، بيروت

عقيدة أهل الحديث : الصابوني ، الكويت

العلو : الذهبي ، المدينة

فتح البارى : ابن حجر ، القاهرة ١٣٨٠

فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة

لسان الميزان : ابن حجر ، ١٣٩٠ هـ

اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة : السيوطي ، القاهرة

مسند الامام أحمد : المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية

مجمع الزوائد : نور الدين الهيثمي ، بيروت ، ١٩٦٧ م

معارج الوصول : شيخ الاسلام ابن تيمية ، القاهرة

المعجم الكبير : الطبراني ، تحقيق : حمدى عبد المجيـــد السلفي ، العراق ، ١٣٩٨ هـ

مقدمة فى أصول التفسير : شيخ الاســــلام ابن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، دمشق

المنار المنيف : ابن قيمالجوزية ، تحقيق : مهدى الاستانبولي

المناقب العلية : البزار ، تحقيق : زهير الشـــــاويش المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ

الموطـأ : الامام مالك ، بيروت ١٣٩٧ هـ

ميزان الاعتدال : الذهبي ، تحقيق على محمد البجاوى لبنان ، ١٣٨٢ هـ

النبوات : شيخ الاسلام ابن تيمية ، دار الفكر

★ ★ ★

فهـــرست الكتاب



بمكة ت ٥٧٤٠٢٢٦ ـ ٥٥٦٢٨١٠